العدد ٨٤١ — الاثنين ١٥ أغسطس ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

صفحة

أخي عنهام ... ... : أحمد حسن الزيات ١٢٢١

حديث الطائر الصداح ... ... : الأستاذ كامل كيلاني ١٢٢٢

الفلسفة الصامتة ... ... : الأستاذ عبد المنعم عبد العزيز الملجي ١٢٢٣

عبقرية محمد على الكبير ... ... : الأستاذ كامل السيد درويش ... ١٢٢٦

أبو دلامة ! ... ... : الأستاذ صبحي أبراهيم الصالح ١٢٢٧

« تقضيات » : عتاب وطني كريم من السودان — ضجة أدبية حول ١٢٣٠

كتاب لأرتير رامبو — بعض الرسائل من حقيبة البريد ١٢٣٢

« الأدب والفن في أسبوع » : لنا أوربيين ولا عالمين — في ١٢٣٣

مسابقة المجمع اللغوي — المرأة — كشكول الأسبوع ١٢٣٥

« البريد الأدبي » : نعي خليل مطران في جريدة الهدى اليومية الى ١٢٣٦

تصدر في نيويورك — في النقد الأدبي — تعليم اللغة بدراسة الأساليب —

رد على معترض ١٢٣٨

« الكتب » : البلاغة العربية في دور نشأتها — تأليف الدكتور سيد ١٢٣٩

نوفل : بقلم الأستاذ على الهاري ١٢٤٠

« القصص » : الأحلام — مسرحية الكاتب الإنجليزي أرنك برادول ١٢٤١

ترجمة الأستاذ على محمد سرطاوي ١٢٤٩

٣٣٠١٣

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

17 ème Année No. 841

Lundi — 15 — 8 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٨٤١ القاهرة فى يوم الاثنين ٢٠ شوال سنة ١٣٦٨ — ١٥ أغسطس سنة ١٩٤٩ السنة السابعة عشرة

أخى عزّام !

قرأت فصولك الأربعة عشر التى كتبتها لقراء الرسالة بقلم المؤمن الصادق والمصلح الحكيم والخبير المجرب والكاتب المفنّن، عن هذه الحيرة الاجتماعية التى عوّقت الأمم، وهذا القلق النفسى الذى أشقى الأفراد ؛ فكنت كلما قرأت منها فصلاً نشأت فى خاطرى فكرة، وحفزتنى إلى الكتابة رغبة ؛ فإذا قرأت الفصل الذى يليه ذهبت فكرة وجاءت فكرة، وسكنت رغبة وتحركت رغبة، حتى قرأت (الخاتمة) فوجدتك قد جمعت شتيت الأخطاء والأدواء ثم رددتها إلى مصدر واحد هو ضلال الإنسان، ووصفت لها علاجاً واحداً هو هُدى الله، فلم تدع فى الموضوع فضلة يناقشها أديب، ولا علة يعالجها طبيب.

كلام يشرق فيه الحق وعلاج يهدى إليه العقل، فما كان يجوز أن يختلف فيهما صاحب دين ولا صاحب دنيا، ولا أن يعمى عنهما آملُ شرق ولا آملُ غرب ؛ ولكن الله لأمر يعلمه شاء أن يجوز العمى على البصير فلا يرى إلا بتنبيه، وأن يجرى الصمم على السميع فلا يسمع إلا بتبليغ !

ولقد كان من بداهة المنطق ومسلّمات الطبع ألاّ تستبد الحيرة والقلق بقوم يأمر ربهم بالعدل والإحسان، وبقوم شرعهم على الهدى والفرقان ؛ ولكن المسلمين اليوم قد اتبعوا سبيلاً غير سبيل محمد، واتخذوا دليلاً غير دليل الله ؛ فأصبحوا كسائر الأمم الغربية عباداً للذهب والسلطان والهوى، لا يتبعون غير رجال المال والسياسة بالطمع، ولا يطيعون غير رجال الحكم والحرب بالخوف. أما رجال الفكر ورجال الدين فقد جعلوهم من توافل الحياة ؛ مكانهم على الهامش لا فى المتن، وميدانهم توازع الكمال لا دوافع الضرورة ؛ إلا من استغوته منهم فقد استحبّ عماهم على هداه، وآثر هواهم على عقله.

ورجال الفكر أمثالك يا أخى قوم جعلوا (وظيفتهم) التفكير للناس. فهم ينتجون الفكر كما ينتج أصحاب العمل المال، ورجال السياسة الخداع، وأرباب الحكم النطرسة ! فما كان أجدرَ ابن آدم وهو لا يزال يتبجح بالعقل ويتعزّى به على غيره أن يجعل قياده لرجال الفكر ! ولكن ابن آدم إنسان وحيوان، فإن استجرّ بإنسانيته للقلم، فلن يستجرّ بحيوانيته إلا للعصا !

لقد قرأ الناس ما كتبتَ وأعجبوا بما قرأوا. ولكن إعجابهم به لا يعدُوا أن يكون إعجاباً بالجمال فى ذاته. سيزعم كل قارئ أنك عنيت بكلامك سواه. فالفرد يقول أنا ضعيف ؛ فليتنى أقوى لتكون لى إرادة. والشعب يقول أنا جاهل ؛ فليتنى أعلم ليكون لى رأى. والحزب المعارض يقول أنا غير مسئول ؛ فليتنى أحكم ليكون لى أمر. والحزب الحاكم يقول أنا غير مستقر ؛ فليتنى أثبت ليكون لى تنفيذ ! فإذا قوى الفرد عمل لنفسه، وإذا تعلم الشعب عصف الطغيان فى رأسه، وإذا حكم المعارض لما يبرمه من أمره !! وإذن تذهب كمالك الطيبة وأمثالها يا عزام كما تذهب النفحات الرخيصة فى هزيم العاصفة، أو الذبذبات الرخيصة فى ألوف الغاية !

حديث الطائر الصداح

للأستاذ كامل كيلاني

مر السلطان ذات ليلة بمنزل ، فتسمع فيه إلى ثلاث أخوات يتمنين الأمانى :

قالت الكبرى : أتمنى أن يبنى بى خباز السلطان !

وقالت الوسطى : أتمنى أن يبنى بى طباخ السلطان !

وقالت الصغرى : أتمنى أن يبنى بى السلطان نفسه !

ثم أصبح الصباح ، فدعى السلطان للأخوات الثلاث أمانيهن

دب فى نفس الأختين الكبرى والوسطى دبيب الغيرة من أختهما الصغرى ... فكيف تفسدان بينها وبين السلطان ؟

حملت الصغرى ، وجاءها المخاض ، ولكنها لم تضع أميراً صغيراً ، بل وضعت — فيما زعمته شقيقتاها — كلباً !

وفى العام التالى وضعت قطاً ! وفى الثالث وضعت قرداً !

جازت حيلة الشقيقتين على السلطان ، وفعلت الخيانة فعلها فى نفسه ... فهجر زوجته البريئة !

ترعرع الأمراء الثلاثة أبناء السلطان الحقيقيون ... وفى ذات يوم أقاموا مأدبة حضرها البلبل الصداح ... وكان قد أشار على الأمراء أن يحشوا الخس والخيار باللآلئ !

غير أن السلطان لم يرقه ذلك ، فلما أبدى استنكاره ، هتف البلبل الصداح بالنشيد التالى ، وهو مقتبس من قصة : « عجائب الدنيا الثلاث » للأستاذ كامل كيلانى التى تظهر فى أواخر سبتمبر القادم إن شاء الله .

أغلب الظن يا صديقى أن أبرار الكتاب سيظلون يقولون الخير لأن نفوسهم فى أن يقولوه ، وأن أشرار الساسة سيظلون يعملون الشر لأن نفوسهم فى أن يعملوه ؛ حتى يشاء الله وحده للأنام أن ينعم والسلام أن يعود ، فيهيئ حينئذ لكلام الكتاب السبيل إلى أذهان الأحزاب والأحزاب ، فتتحدد دعوة الأنبياء ، وتتصل الأرض بأسباب السماء ، ويصبح الأولياء فى ركب الحياة من أمثال عمر وصلاح الدين ، لا من أمثال نرون وستالين .

فكر يا أخى وعبر ، ولا ضير عليك ألا يفهم الناس عنك ؛ فإن التفكير متعة العقل ، كما أن التعبير متعة الروح

(المنصورة) محمد سعيد العريان

حبّاتُ هذا اللؤلؤ الصغارُ ... يُحشَى بها الخسُّ أو الخيارُ

تُثير منك حيرةً فتُنكرُ ... عينُك من دهشتها ما تبصر

ترى عجيباً قد تناهى فى العجب ... وغفلة ، فى طيّها سوء أدب !

تراه شيئاً لا يجوزُ أبدا ... تُنكره ، وليس يُؤذى أحدا

وقبل هذا صدّق السلطانُ ... أن يَلِدَ البهائمَ الإنسانُ

هل تَلِدُ الكابةُ عزاً أو جَلَلْ ... أو تلدُ النجمةُ فيلاً أو جمل ؟

أو تلدُ النمورةُ الغزلانا ... أو تُخرجُ الفاحةُ الرُّمّانا

أو تلدُ الوحشيةُ الإنسيهْ ... أو تلدُ القطةُ آدميهْ ؟ !

فكيف جاز فى العقول أن تلدْ ... سيّدة السادات فى هذا البلدْ

كلباً وقطّاً بعده ، وقِردا ... أيهزلون ... فتراه جِدّا !

وهو مُحالٌ ، عقلُنا يأباه ، ... وسنّةُ الحياةِ لا ترضاه !

حشوُ الطعامِ بنفيسِ الماسِ ... أدنى إلى الضلق والقياس

وزارة العدل

التفتيش الإدارى والكتابى

إعلان

تعلن وزارة العدل عن فقد أصل وصور الأربعة قسائم تحصيل من نمرة ٨٦٠٧٩٧ إلى ٨٦٢٨٠٠ من دفتر قسائم التحصيل استمارة رقم ١٥٥ ع ح الذى يبدأ بالقسيمة نمرة ٨٦٢٦٠١ — وكذلك فقد أصول القسائم من نمرة ٨٥٩٨٠١ إلى ٨٥٩٨٠٤ وصور القسائم من ٨٥٩٨٠٥ إلى ٨٥٩٨٠٨ من دفتر قسائم التحصيل الذى يبدأ بالقسيمة ٨٥٩٨٠١ — وهذه القسائم فقدت بغير استعمال من محكمة أطسا الجزئية الشرعية وقد اعتبرت الوزارة أن هذه القسائم ملغاة فكل من تعرض عليه أو عثر عليها بأى الطرق أن يعلم بأنها لا قيمة لها وأن استعمالها يعد تزويراً ويعرض مستعمله للمحاكمة الجنائية

٢٤٧٣

(٣) فلسفة الشعب :

الفلسفة الصامتة

للأستاذ عبد المنعم عبد العزيز المليجى

لست أبغى أن أعمو الفروق العديدة التى تميز فكر الفيلسوف عن فكر الجمهور ، إنما أريد التقريب وعقد الصلات بينهما ، وبيان أن الهوة المزعومة بينهما لا وجود لها . ذلك أن المذاهب الفلسفية استمرار طبيعى لفلسفة صامتة ، منسال فى آلاف الأذهان خفية كما تتسلل النار الكامنة ، حتى تشتعل وتومض وميضاً يبهر الأبصار بعد أن تكون قد مرت بدور كمون طويل . فما من مذهب جديد إلا وله سوابق ومهدات فى مذاهب السابقين ، وهذه بدورها سبقتها نظرات ولمحات صامتة تبدو فى حكم العامة وأساطيرهم وشعر الشعراء وقصص الأدباء . ولكن هؤلاء جميعاً بدت النظرات الفلسفية فى إنتاجهم دون قصد أو وعى بها ومن أجل هذا أسميها فلسفة صامتة . إنما الفلسفة الناطقة هى تلك التى تعبر عنها المذاهب الفلسفية التى صاغها أصحابها على وعى منهم بها ، والتى تبدو جديدة مبتكرة . وما هى — لو تأملناها وأحطنا بملابساتها — غير تأليف وتوفيق جديد بين عناصر قديمة مرت بالعقل البشرى من قبل ويوسعنا الاهتداء إليها فى مذاهب السابقين بل منبثة فى ثنايا الشعر والحكمة الشعبية القديمة قدم الإنسان فانه

إليك مثلا أفلاطون وهو صاحب أول مذهب متكامل شامل فى تاريخ الفلسفة . يبدو مذهبه عملا ابتكارياً صرفاً . ولكن الحقيقة التى يكشف عنها تاريخ الفلسفة أن بعض النتائج التى وصل إليها غيره من المفكرين السابقين عليه ، قد دخلت فى تكوين هيكل فلسفته : نظرية هرقليطس فى التغير المستمر ، وفكرة فيثاغورس فى العدد والموسيقى ، ورأى بارمنيدس فى الوجود ثم فلسفة سقراط أستاذه الحبيب ، هذه جميعاً امتصها أفلاطون وتمثلها حتى استحالت إلى كيانه الفكرى كما تستحيل الأغذية إلى كياننا الجسمى . ليس هذا فحسب بل نستطيع لوثاثرنا أن نجد فى الفكر القديم عند الهنود والمصريين أفكاراً تتصل بسبب قريب بأفكار منبثة فى مذاهب أفلاطون .

يقول الأستاذ إسماعيل مظهر :

« إن مبادئ أفلاطون الأساسية وفكرانه الجوهرية التى قام عليها مذهبه ، تدفع بنا إلى الرجوع سعياً ، لا إلى أسلافه الأقربين ولا إلى معلمه العميق النور سقراط ، الذى عاش فى صفحات ما كتب أفلاطون ، ولكن إلى مدارس متفرقة سبقته فما كبت على التأمل الفكرى فى إفريقية وآسيا وإيطاليا . ومن قبل هؤلاء قد نرجع إلى عصر الشعر ، ذلك العصر الذى نرى فيه بدايات الفلسفة تكاد تبدو من ضباب الزمن ، وهى لا تكاد تعرف حتى من قيمة ذاتها شيئاً . ثم مد نظرك لأبعد من هذه الفلسفة غير الواعية الحقيقة ما هى ، وانتصر فى ضمير الزمان إلى تلك البدايات التى تمثلت فى الميول العقلية والخلجات النفسية ونراها قوى الفكر إلى حجب العالم ، تجد أن هذه الأشياء قد شهدت ميلاد فكرات أفلاطون بنسب ، متحدرة إليه من مدنيات عتيقة موغلة فى القدم من الهند ومصر ، وتجد فوق ذلك أن هذه الفكرات لا تزال حتى اليوم تؤثر أثرها المحتوم فى عالم التأمل . »[1]

وليس هذا عجيباً إذا علمنا أن الطريق إلى التعليلات الفلسفية ليس عقل الفيلسوف وحده فهنالك فى النفس حدس صادق ، أو حس سليم هو طريق آخر يفضى إلى نظرات عامة فى الكون والأخلاق فيها من الصدق والصفاء ما يجعل لها قيمة تدانى قيمة مذاهب الفلاسفة . والخلاصة أن المذاهب الفلسفية يقابلها فلسفة واقعية صامتة أو هى — كما قال الأستاذ إسماعيل مظهر : « لا تعى ذاتها » .

عقد الأستاذ « ألبير بايه »[2] فى كتابه « أخلاق العلم »[3] فصلا يبين فيه أن النظريات الفلسفية الأخلاقية ، تسبقها أخلاق واقعية ، وأنها مجرد تركيز أو تبلور لتصورات الناس الواقعية لمثل أعلى . بل ويفضل الأخلاق الواقعية على النظريات الفلسفية لأن أثر الأخيرة فى تطور المجتمع أثر يكاد ينعدم .

يقول الأستاذ بايه بهذا الصدد :

---

(١) فى مقال له بعنوان « الفيلسوف الباكى » هرقليطس بالمنطف عدد يونيو سنة ١٩٤٥

(٢) الأستاذ بالسربون

(٣) قام بترجمته تلميذه الدكتور عثمان أمين بعنوان « دفاع عن العلم »

« انتظر فى أكبر تحول عرفته المجتمعات البشرية : وهو إلغاء الرق . لو سئلنا اليوم فى القرن العشرين باسم أى مذهب استنكر الرق ؟ استطعنا أن نجيب جواباً لا يخلو من منطق : إن ذلك باسم فلسفة القرن الثامن عشر التى أعلنت حقوق الإنسان ولكنا نعلم حق العلم أن تلك النظرية لم تحرر إلا بعد حين ، أى بعد أن كانت الهمة قد تمت ، وبعد أن كان الرق كله قد اختفى أو كاد يختفى من مجتمعاتنا ، ولكن نبحث فى التاريخ عن المذاهب التى أدت إلى إلغاء الرق : يُحيل بعض المفكرين إلى الأخلاق الرواقية ، ولكن الرواقيين كان لهم أرقاء . ويحيل البعض الآخر إلى الأخلاق المسيحية ، ولكن المسيحية كان لها أرقاء . ولقد كان للمفكرون من جميع المدارس يجدون دائماً صيغة مهنة تمنيهم على أن يراعوا النظام القيق ، وكأنهم يحملون عليه بإحدى اليدين ويؤيدونه باليد الأخرى . ابحث ما شئت فى التاريخ ، فإنك لن تجد ذلك المشهد الرائع : مشهد مذهب يقوم فيقضى على الرق . ولكن من حسن الحظ أن هناك أخلاقاً واقعية كانت تعمل وتؤثر ، بينما كان الفلاسفة يتكلمون ويكتبون . وتلك الأخلاق الواقعية هى التى ألهمت « تيرون » ذلك الحنين إلى الإنسانية ، أن يحقق ذلك العمل الثورى العظيم الذى أباح للرقيق إذا هو مُل معاملة بالغة القسوة أن يرفع شكواه إلى القضاء . وألهمت القرارات الكثيرة التى أصلحت حال الرقيق ثم المُوالى . فماذا كانت حقيقة تلك الأخلاق الواقعية ؟

لو سئل الذين كانوا أول من عمل لهذه الأخلاق ، يقصون فى متناقضات تستدعى الإشفاق حين يستهدفون إلى الإشارة بهذا الصدد إلى شىء من المبادئ (١) . ولكنا نحن بعد حين نرى النهج الذى سلكوه ، والذى انتهى إلى حقوق الإنسان . إن الأخلاق الصامتة المتضمنة فى جهودهم المتواصلة أقوى من العبارات المزعومة التى نقرأها فى كتب الفلاسفة » .

أجل ، بينما كان الفلاسفة يكتبون ويناقشون مذاهبهم الفلسفية فى الأخلاق كانت هناك فى ضمير الشعب فلسفات أخلاقية صامتة ، تؤثر أثراً قوياً ولكن فى صمت حتى تحققت بعد أن كانت أملا تهفو إليه النفوس ذلك هو التحرر من الرق والعبودية .

الفلسفة فى الإنتاج الأدبى :

ألا يعرض ذلك دليلا على أن الفلسفة تمد جذورها فى حياتنا إلى أعماق سحيقة ؟ وأن لحظات قد تواتى جمهور الناس — رغم طغيان المشاغل اليومية — فتنفذ بصائرهم إلى هذه الأعماق ، وتغوص عقولهم إلى القاع لتصعد محملة بلآلئ الأفكار يذيعونها أمثالا مأثورة أو حكما ، وقد لا يفصحون عنها لفظاً ولكن تفصح عنها حياتهم بما تنطوى عليه من معنى فلسفى ؟ ولو تركنا طبقة الجمهور إلى طبقة الكتاب من غير الفلاسفة ، لوجدنا فى طيات كتبهم نظرات وتعميمات فلسفية . مثال ذلك : مسرحيات سوفوكليس وشكسبير وموليير وروايات بردناردشو وأندريه جيد ونجيب الريحانى وشارل شابلن وجوته ، نرى فيها جميعاً لمحات فلسفية مبثوثة هنا وهناك فى إنتاجهم ، وطالما كانوا أكثر توفيقاً من الفلاسفة ؛ إذ سرعان ما تنفذ اتجاهاتهم إلى شعاب نفسك فى يسر لتستقر فى الأعماق . وما ذلك إلا لأنهم لم يعمدوا إلى ما يعمد إليه أهل الصنعة من الفلاسفة حين يجردون الأفكار من الحياة ، وينتزعونها من الواقع الذى تولدت فيه ، ونمت وازدهرت .

أيا تولى الطرف فى الإنتاج الروائى الخالد يقع بصرنا على بطل يجسم مشكلة من المشاكل الإنسانية ، تعترضنا جميعاً أيا كان زماننا وأيا كان مكاننا ، كمشكلة السعى الأبدى لبلوغ الحق والخير والجمال كما تصورها مأساة « فاوست » ، والصراع الدائم بين قوى الفرد وقوة المجتمع العاتية التى لا تأبه لآمال الأفراد أو آلامهم — كما تبرزها قصة الخلاق الفيلسوف « فيجارو » ، أو روايات نجيب الريحانى التى تضحكنا رغم انطوائها على المأساة البشرية الكبرى : ما تلاقيه النفوس الخيرة من عنت فى هذا العالم والتى تنتهى جميعاً إلى اعتبار الخير غاية فى ذاته والسعادة فى راحة الضمير والمتتبع لروايات شارل شابلن خاصة فى الفترة الأخيرة من حياته يلمس روحاً فلسفية تسرى فى جوانبها . لو تأملنا آخر روايات «المسيو فيردو» يحترف قتل السيدات لاستخلصنا الدرس العميق الذى يلقيه على الإنسانية العاتية الحمقاء « التى ترفع مثيرى الحروب

(١) يقصد أن إرجاع هذه الأخلاق الواقعية إلى مذهب من مذاهب الفلاسفة عمل لا يخلو من تناقض .

الذين يسفكون دماء الملايين إلى منزلة الأبطال الخالدين ، وتحكم بالإعدام على فرد قتل عدداً قليلا من النساء ليحصل منهم على ما يتم الأود بعد أن طرق الأبواب فلم يجد رزقاً » ، ذلك الدرس يفرغ شارل العظيم في الحوار الأخير بينه وبين القسيس الذي أتى يباركه قبيل تنفيذ حكم الإعدام فيه ، إذ يعلن للقسيس عدم احتياجه إليه فيلح القسيس عليه أن يصلي ويتحدث إليه لعل الله يستجيب له فيقول « المسيو فيردو » : ليس الخلاف يا سيدي بيني وبين الله إنه بيني وبين البشر » أجل إن النظام الطبيعي خير ولكن البشر هم الذين يفسدونه . البشر وحدهم مسئولون عن وجود الشر في العالم ويخطئ من يدعي أن الله يريد بالعالم شراً .

عالج كثير من الفلاسفة في أسفار عدة موضوع الإرادة الإنسانية أهي حرة أم مجبرة ، وعالجوا فكرة القضاء والقدر ، وفكرة الاتفاق في الطبيعة والحظ لدى الإنسان . ونستطيع الاستنارة في هذه الموضوعات لو فتشنا عنها في كتب الفلاسفة ، ولكننا نراها في ضوء باهر ونلمسها ونحياها لو أنا عشنا لحظات مع الشاعر الروائي سوفوكليس في مسرحيته « أوديب ملكا » التي كتبها في أثينا في القرن الخامس قبل الميلاد ، أو لو أنا جلسنا إلى « أندريه جيد » نقرأ روايته « أوديب » التي كتبها في فرنسا منذ أعوام قلائل . خمسة وعشرون قرناً من الزمان تفرق بين الخالدين ، دون أن تمحو من الأذهان مشكلة فلسفية كبرى : تلك هي الصراع بين القضاء المحتوم والإرادة الإنسانية المختارة .

ولأترك القارئ لحظات إلى أستاذنا الدكتور طه حسين يكشف له عن الفلسفة التي تتضمنها قصة أوديب عند كل من سوفوكل وجيد :(١)

« هناك قضاء كان اليونان يؤمنون بأنه مسيطر على كل شيء وعلى كل كائن لا يفلت منه الآلهة أنفسهم . وهناك الإنسان كان يشعر بأن له عقلاً يميز به بين الخير والشر ، وبأن له إرادة يعمد بها إلى أحد هذين الشيئين اللذين يميز العقل بينهما وهما : الخير والشر . فليس هناك إذن بد من أن يكون اصطدام بين القضاء المحتوم الذي لا يفلت منه الإنسان أو الإله ، وبين هذه الإرادة التي زعم الإنسان أنها حرة مختارة تستطيع أن تعمد إلى ما تحب وتنصرف عما تكره سواء أراد القضاء أم لم يرد .

هذه الفكرة التي قصد سوفوكل إلى أن يصورها في قصته ومن قبله كان الشاعر اليوناني المثل (أيسكاوس) الذي ذهب في تمثيله إلى تغليب القضاء على الإرادة الحرة المختارة ، ومن بعده جاء الشاعر اليوناني المثل (أوريبد) الذي ذهب إلى كسب الحرية للإرادة الإنسانية وأنكر القضاء أو كاد ينكره . أما سوفوكل فتوسط بين الأمرين . لم ينكر القضاء ولكنه لم يلغ الإرادة الإنسانية ، وإنما اعترف لها بشيء من الحق واعترف لها بأنها إن لم تستطع تغيير مجرى القضاء ، فإنها تستطيع أن تقاوم هذا القضاء مقاومة ما ...

صور لنا سوفوكل صراعاً بين القضاء وبين الإرادة وأظهر لنا الإنسان وقد غلبه القضاء . ولكنه لم يغلبه في سهولة ويسر . وإنما غلبه بعد أن قاومه الإنسان مقاومة عنيفة متصلة ، بالغة أقصى ما يمكن أن تبلغ من القوة والعنف ... »

ثم يمضي الدكتور طه مبيناً تصور أندريه جيد لنفس المشكلة :

« يصور لنا أوديب مصارعاً للقضاء يغلبه القضاء أولا . ثم مؤمناً بنفسه معتزاً بإرادته وينتصر على القضاء آخر الأمر — أوديب عنده رمز للانسان الذي لا يؤمن إلا بنفسه وبإرادته ، قد قبل سعادته راضياً عنها ، وهو يقبل شقاءه راضياً عنه ، وهو مطمئن كل الاطمئنان إلى أن الرجل الحق هو الذي يتلقى الحياة صامداً لها راضياً عنها ، مقتنعاً بخيرها عن ثقة وعلم أيضاً ، لا يشكو ولا يتزعزع ، فهنالك سؤال واحد يلقى دائماً على كل إنسان ليس له إلا جواب واحد . أما السؤال فهو : ما اللغز وكيف يحل لغز الحياة الإنسانية ؟ وأما الجواب فهو : أن اللغز هو الإنسان ، وحله : هو أن يمضي الإنسان تبعاً لإرادته ، وفق عواطفه وشعوره وغرائزه وعقله .

هذه هي القصة التي كتبها أندريه جيد وهي كما ترون تمعن في الفلسفة ، وتبعد عن العناية الفنية » .

(الاسكندرية)

عبد المنعم الميهي

(١) نقلا عن محاضرته في نادي الخريجين المصري سنة ١٩٤٩ « الملك أوديب في الآداب المختلفة »

عبقرية محمد على الكبير

للأستاذ كمال السيد درويش

« حقاً لقد كان عبقرياً ! »

هتفتُ بهذه العبارة من أعماق قلبي ونطق بها لساني بعد أن ملك الإعجاب نفسي . كان ذلك بعد أن انتهيت من قراءة بعض صفحات تاريخه الخالد بمناسبة ذكراه .

قلبت تلك الصفحات ، فاستوقف نظري ذلك الحوار الذي دار بين محمد على وبين بركارت الرحالة السويسري . كان الرحالة قد اعتنق الإسلام وتسمى بالشيخ ابراهيم وأطلق لحيته حتى يتسنى له الاختلاط التام بالمسلمين . وكان محمد على قد سافر بنفسه — كما هو معروف — إلى بلاد العرب على رأس حملة عسكرية لمساعدة نجله في قتال الوهابيين . ويصل الشيخ إبراهيم إلى الحجاز في ذلك الحين ليؤدي فريضة الحج مع المسلمين ويدون ذلك كله في كتابه الشهير .

ويستدعي الباشا الرحالة — وقد علم بوجوده — ما السر في حضوره إلى الحجاز ؟ وفي ذلك الحين بالذات ؟ ألا يحتمل أن يكون جاسوساً انجليزياً ؟ دارت هذه الأفكار في ذهن الباشا فالتفت إلى بركارت وهو يقول مداعباً : ألا ترى معي يا شيخ ابراهيم أن اللحية وحدها لا تكفي لجعل الإنسان مسلماً حقيقياً ؟ وحين يحجم الرحالة بين ذلك من تكرار الزيارات لأن الباشا يشك في أمره — كما فهم — يقول محمد على لترجمانه : اخبره أني أرحب به سواء كان مسلماً أو غير مسلم .

وتتعدد المقابلات بينهما ...

ويستفسر محمد على منه عن أسفاره السابقة إلى بلاد النوبة ، ثم يتدرج إلى السؤال عن المماليك ومدى قوتهم ومن رأيه في عدد القوة التي تكفي للقضاء عليهم ، وأفضل الطرق للوصول إلى السودان ومن المال اللازم لإعدادها .

وتصل إليهما في ذلك الحين الأخبار بهزيمة نابليون وبدخول الحلفاء باريس وبإبعاد نابليون إلى جزيرة إلبا ، ويسأله الرحالة عن رأيه في تلك الحوادث ، ويعلق محمد على بقوله : إن نابليون كان جباناً في سلوكه . كان يجدر به أن يلقى حتفه في الميدان بدلا من الاستسلام للذل والهوان والحبس في هذا القفص حتى غدا أضحوكة العالم بأسره . ثم يلتمس محمد على لنابليون العذر فيقول : لقد كان أعوانه خونة كالعثمانيين . لقد تخلى عنه أعوانه المتازون وقواده المشهورون من يدينون له بالفضل والشهرة والجاه ، فهو نحية خيانة الأصدقاء قبل أن يكون نحية الأعداء !

ويروي الرحالة أن الباشا كان شديد الشوق لمعرفة أثر التطورات الأخيرة في حوادث أوروبا على العلاقة بين روسيا وبريطانيا وفي نيات الأخيرة نحو مصر . وحين حاول الرحالة إزالة مخاوف محمد على وشكوكه من جانب انجلترا وإقناعه بسلامة نيتها نحو الدولة العثمانية ونحو مصر بالذات أبى الباشا أن يستجيب له ، وهز رأسه في إنكار وهو يقول : إن السمكة الكبيرة تأكل السمكة الصغيرة ؛ ومصر ضرورية لانجلترا ، فكيف أطمئن على نيتها نحو مصر ؟ أنا لا أخاف من السلطان ، فأنا أعرف كيف أتفوق عليه في المكر والدهاء ، ولكني أخشى على مصر من انجلترا وأطماعها .

ولاحظ بركارت في لهجة محمد على حماس الشاب الولهان ، وغيرته على زوجه الصغيرة الحسناء من الغرباء ، بالرغم من تأكده من حبها وإخلاصها .

عند ذلك يرد محمد على على محدثه وهو يقول في حماس شديد كلته الخالدة : « حقاً أنا أحب مصر ، أحبها حب العاشق المتيم الولهان ، ولو كنت أملك سوى روحي عشرة آلاف أخرى ، لضحيت بها في سبيلها » .

أفلا يحق للقارئ — وقد انتهى من هذا الحديث الخالد — أن يهتف من أعماق قلبه : « حقاً ، لقد كان رجلا عبقرياً ؟ »

كان وهو يحارب الوهابيين في بلاد العرب يفكر في مصر وفي أهلها ، وفي علاقتهم بولده إبراهيم وقد تركه حاكماً عليهم ، فيسأله الرحالة عن مدى حب الأهالي لولده ومن رأيهم فيه ؟ ألم يكن بهذا أول حاكم يبني علاقة الحاكم بالمحكوم على أساس متين من المحبة السادقة ؟ في الوقت الذي كان فيه الاستبداد من الأصول

من ظرفاء العصر العباسي :

أبو دلامة

توفي سنة ١٦١ هـ

للأستاذ صبحي إبراهيم الصالح

— ٣ —

عرف أبو دلامة بخل المنصور ، وأنه لن ينال منه العطاء إلا بعد تعب طويل ، فكان ينتهز الفرصة في إرضائه بما يعلم أنه يستريح إلى سماعه . فهو مثلا يعرف أن المنصور — بعد قتله أبا مسلم الخرساني — كان يجب من الناس أن يبرروا عمله ويعتبروا أبا مسلم مستحقاً لتلك المأساة التي ختمت بها حياته ، فلينتهز أبو دلامة هذه الفرصة ولينشد المنصور في محفل من الناس :

أبا مسلم خوفتني القتل فانتحى
عليك بما خوفتني الأسد الورْدُ
أبا مسلم ما غير الله نعمةً على عبده حتى يغيرها العبد

وإنك لتجد في هذين البيتين قوة في السبك تشرك بأن أبا دلامة لم يكن في القصيد شيئاً يستهان به أو يستخف بوزنه . لذلك سر المنصور بهذه القصيدة وقال لأبي دلامة : احتكم ، قال : عشرة آلاف درهم . فأمر له بها : فلما حلا به قال له مازحاً : إيه ! أما والله لو تمنيتها لأعطاك ! (١)

بل لقد أعطاه المنصور داراً وكسوة لإعجابه بقصيدة وصف له فيها سوء حاله وقلة ماله وجوع أهله ، ومدحه فيها وأثنى على بني العباس واسمع إذا شئت هذه القصيدة :

هاتيك والدتي عجوز هرمة (٢)
مثل البليلة دِرعها في الشَّجب (٣)

(١) الأغاني ج ١٠ ص ٢٣٥
(٢) الهمة : العجوز الفانية .
(٣) الشجب (ومثله الشجاب) خشبات مرتفعة منصوبة توضع عليها الثياب وتنشر . يريد أن أمه فنيت حتى أشبهت خشبات الشجب .

المرعية لدى الحكام والمحكومين ؟

ألم يتابع — وهو في مرتفعه — تطور الحوادث العالمية مقدراً ما سيكون لها من أثر على مستقبل مصر ؟ ألم يدرك بثاقب فكره وحسن تقديره ، ونفاذ بصيرته ، حقيقة العلاقة بين انجلترا ومصر ؟ وأن واجب مصر يحتم عليها الأخذ بأسباب القوة حتى لا تلتهمها تلك السمكة الكبيرة ؟

ولقد فعل فلم تكشف انجلترا عن نواياها ، حتى إذا تركنا الأخذ بأسباب القوة ، وتنكبنا الطريق التي رسمها ، هب إعصار الإنجليز ، فاكتسح استقلالنا ، ومسخ قوميتنا ، وشوه تاريخنا !

حقاً ، لقد أبدت الحوادث صدق نظر محمد علي وسداجة الرحالة السويسري !

وهكذا تفتحت عبقرية محمد علي الكبير وهو بعد لما يزل والياً صغيراً !

لقد أحب مصر فحرجة للشعب والمهام ، وتمنى أن لو كان لديه أكثر من روح واحدة حتى يقدم الآلاف في سبيلها !

ولقد ضحى فعلا بأبنائه بإسماعيل وبطوسون وبإبراهيم ، وأخيراً بروحه هو نفسه .

وهكذا أعطى مصر أكثر مما أعطته ، ومنحها أكثر مما منحته وأصبح اسمه علماً على نهضتها وعظمتها في تاريخها الحديث .

لقد أخلص محمد علي في حبه لمصر لمشوقته الحسناء ، وفتاته الهيفاء ، حتى الرمق الأخير ...

فلا عجب إذا احتفلت قلوب المصريين بذكرى المؤسس الأول الخالد في سجل الخالدين وهي تهتف بلسان واحد :

حقاً لقد كان عبقرياً !

كمال السيد درويش
مدرس بالرمل الثانوية — الإسكندرية
ليسانسيه الآداب بامتياز ودبلوم معهد التربية العالي
وعضو الجمعية التاريخية الملكية بجامعة فاروق

سهولة اللحيين[1] من يرها يقل

أبصرت غولاً أو خيال القطرب[2]

ما إن تركت لها ولا لابن لها ... مالاً يؤمل غير بكر أجرب

ودجاجاً خمساً يرحن إليهم ... لما يبضن، وغير عشر[3] مغرب

كتبوا إلي صحيفة مطبوعة[4] ... جعلوا عليها طينة كالمقرب

فعلمت إن الشر عند فكاكها ... فككتها عن مثل ريح الجورب

وإذا شبيه بالأفاعي رقشت ... يوعدني بتلمظ وتثؤب

يشكون أن الجوع أهلك بعضهم ... تربا[5] فهل لك في عيال تؤب

لا يسألونك غير ظل سحابة ... تنشاهم من سيلك التحناب

يا باذل الخيرات بان بذولها ... وابن الكرام وكل قوم منجب

انتم بنو العباس يعلم أنكم ... قدماً فوارس كل يوم أشهب

أحلاس[6] خيل الله وهي مغيرة

يخرجن من خلل الغبار الأكهب[7]

وكانت الدار التي أعطاها المنصور أبا دلامة قريبة من قصره، فأمر بأن تزاد في قصره بعد ذلك لحاجة دعته إليها. فدخل عليه أبو دلامة فأنشده قوله:

يا بن عم النبي دعوة شيخ ... قد دنا هدم داره ودمارُه

فهو كالناقض التي اعتادها الطل ... ق فقرّت وما يقر قراره

إن تحز صره بكفيك يوماً ... فبكفيك صره ويساره

أو تدعه فلجوار وأنى ... ولماذا وأنت حي جواره؟

هل يخاف الهلاك شاعر قوم ... قدمت في مديحهم أشعاره؟

لكم الأرض كلها فاعيروا ... شيخكم ما احتوى عليه جداره

فكأن قد مضى وخلف فيكم ... ما أعرتم وأفقرت منه داره

فاستعبر المنصور، وأمر بتعويضه داراً أخيراً منها ووصله.[8]

ولو لم يتأثر بمساق الشعر أبو جعفر، لما دمعت عيناه فاستعبر ولما عوض عليه تلك الدار بأحسن منها وطيب خاطره وأجزل صلته مع علمه بأنه أكثر إجادة للتمثيل منه لوصف حقيقة حاله. وانظر إلى تخيل أبي دلامة واستخدامه الأساليب التي ترقق من قلب المنصور تارة، وتضحكه حتى تبدو نواجذه تارة أخرى، يوم دخل عليه فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

إن الخليط أجد البين فانجموا[1]

وزودوك خيالاً بئس ما صنعوا

والله يعلم أن كادت أنيتهم ... يوم الفراق حصاة القلب تنصدع

عجبت من صبيتي يوماً وأمهم ... أم الدلامة لما هاجها الجزع

لا بارك الله فيها من منية ... هبت تلوم عيالي بعد ما هجعوا

ونحن مشتهو الألوان أوجهنا ... سود قباح وفي أسمائنا شنع

أذابك الجوع مذ صارت عيالتنا ... على الخليفة منه الري والشبع[2]

لا والذي يا أمير المؤمنين قضى ... لك الخلافة في أسبابها الرفع

ما زلت أخلصها كسبي فتأكله ... دوني ودون عيالي ثم تضطجع

شوهاء مشأة في بطنها تجل[3] ... وفي المفاصل من أوصالها فدع[3]

ذكرتها بكتاب الله حرمتنا ... ولم تكن بكتاب الله تنتفع

فاخر نطت[4] ثم قالت وهي منتبذة

أأنت تتلو كتاب الله يا لكع

اخرج لتبغ لنا مالاً ومزرعة ... كما لجيراننا مال ومزدرع

واخدع خليفتنا عنها بمسألة ... إن الخليفة للسؤال ينخدع

ولقد انخدع أبو جعفر حقاً بهذه المسألة فإنه ضحك ثم قال: أرضوها مني واكتبوا له بمائتي جريب عامرة ومائتي جريب غامرة فقال له: أنا أقطعك يا أمير المؤمنين أربعة آلاف جريب غامرة

---

(١) اللحى عظم الحنك وهو الذي عليه الأسنان.

(٢) القطرب هنا: ذكر الفيلان أو الصغير من الجن.

(٣) العير: (بالفتح) الحمار. والمغرب: الذي اشتد بياضه حتى تبين محاجره وأرنافه. (٤) مطبوعة: مختومة.

(٥) التؤب ضيق النفس (٦) أحلاس الخيل هنا: اللازمون ظهورها (٧) الكهبة: غبرة مشربة سواداً.

(٨) الأغاني ج ١٠ ص ٢٠٩

(١) راعى في ضمير الخليط اللفظ فأفرد (أجد البين) والمعنى لجمع (انجموا) وهذا يائز لغة على حد قوله تعالى (مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم) أي كمثلهم كمثل الفريق الذي ... والفريق كالخليط كلاهما من الأسماء التي يدل معناها على الجمع

(٢) وروى هذا البيت:

إذا تشكت إلى الجوع قلت لها ... ما عاج جوعك إلا الري والشبع

وما رويناه أجود.

(٣) التجل: عظم البطن واسترخاؤه. والفدع: الاعوجاج

(٤) انخرنطت: رفعت رأسها وتأكبرت

فيا بين الحيرة والنجف ، وإن شئت زدتك . فضحك وقال : اجعلها كلها عامرة[1]

ولعلك تذكر أن قد مر بك — حول الجريب العامر والجريب الغامر — محاورة شبيهة بهذه بين أبي دلامة والسفاح فلا تسرع إلى اعتبار إحداهما موضوعة ، فكثيراً ما يستطيب اللاحق نكتة السابق فيتناقلها استمتاعاً بها ورغبة في سماع جواب جديد عليها . وجواب أبي دلامة للمنصور هنا — وإن أشبه جوابه للسفاح — إلا أن الرد الجديد أكثر طرافة . فقد قال هناك : قد أقطعتك أنا يا أمير المؤمنين خمسمائة ألف جريب غامرة من فيافي بني أسد ، ولم يكتف بفيافي بني أسد مع النصور فقد أبعد الشقة فقال له : أنا أقطعك يا أمير المؤمنين أربعة آلاف جريب غامرة فيا بين الحيرة والنجف ، وإن شئت زدتك .

ولأبي دلامة في مسألة المنصور والوصول إلى عطائه أسلوب أدعى إلى النزاهة من كل ما سبق ، فقد تطوع له نفسه تلفيق الرؤيا ، وهو يعلم أنه متهم بالكذب فيطلب من الخليفة تصديقه كأنه يريد أن يشهده على خداعه .

دخل على المنصور يوماً فأنشده :

رأيتك في المنام كسوت جلدي ثياباً جمةً وتمنيت دَيني
فكان بنفسجيٌّ الخز فيها وساجٌ[2] ناعم فاتم زيتي
فصدقْ يا قدتك النفس رؤيا رأتها في المنام كذاك هيني

فأمر له بذلك وقال له : لا تعد أن تتحلم[3] على ثانية ، فاجعل حُلمك أضغاثاً ولا أحققه[4]

وقديم يجد في نفسه الجرأة على تلفيق الرؤيا إمام الخليفة له من الدلال عليه ما يشفع له ، وإلا لالتمس لنفسه أسلوباً أسلم . ونعرف دلال أبي دلامة على المنصور من إعفائه إياه من السواد والقلانس دون الناس : فقد أمر أبو جعفر أصحابه بلبس السواد وقلانس طوال تدعم بعيدان من داخلها ، وأن يمتشقوا السيوف في المناطق ويكتبوا على ظهورهم (فسيكفيكم الله وهو السميع العليم) . فدخل عليه أبو دلامة في هذا الزي فقال له أبو جعفر : ما حالك ؟ قال : شر حال ، وجهي في نصف ، وسيفي في أستي ، وكتاب الله وراء ظهري ، وقد صبغت بالسواد ثيابي . فضحك منه وأعفاه وحده من ذلك ، وقال له : إياك أن يسمع هذا منك أحد[1] .

وفي هذا يقول أبو دلامة :

وكنا نرجي من إمام زيادة فجاد بطول زاده في القلانس
تراها على هام الرجال كأنها دنان يهود جللت بالبرانس[2]

فهل كان الخليفة يعفيه من ذلك اللباس من دون الناس لولا دلاله عليه ؟ —

(يتبع)

صبحي إبراهيم الصالح

(١) الأغاني ج ١٠ ص ٢٣٦ . وفي معجم الأدباء ج ١١ ص ١٦٦

(٢) البرانس : جمع برنس قلنسوة طويلة ، أو كل ثوب رأسه منه

(١) الأغاني ج ١٠ ص ٢٣٧

(٢) الساج : الطيلسان الأخضر وقيل الأسود وقيل المقور يتخذ كذلك . وفي الأساس : «لبسوا السيجان وهي الطيالسة المدورة الواسعة»

(٣) تحلم فلان : قال حلمت بكذا وهو كاذب

(٤) الأغاني ج ١٠ ص ٢٥١

إدارة الكهرباء والغاز لمدينة القاهرة

إعـــلان

تعلن إدارة الكهرباء والغاز لمدينة القاهرة أنه اعتباراً من أول سبتمبر ١٩٤٩ يجب على جميع المشتركين إطفاء ما لديهم من إعلانات مضيئة ومن أنوار موضوعة على واجهات المحال التجارية وذلك فيما بين الساعتين ١٧ و ٣٠ و ١٩ شتاء ، ١٨ و ٣٠ و ٢٠ صيفاً ما عدا اللمبة المخصصة للحراسة الليلية ويستثنى من قيد الأطفاء دور السينما ومسارح التمثيل

وكل مخالفة تترتب عليها عدم تجديد عقود الاشتراك ، إلا بعد دفع غرامة تقدرها مشرون جنيهاً .

٢٤٢٦

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

عتاب وطنى كريم من السودان :

... ...

تحية طيبة وتقديراً عظيما ، وشكراً على هذا الأدب الجار الذى تمتعنا به فى « الرسالة » كل أسبوع ...

وبعد ، فقد ذكرت فى كلمتك بعدد « الرسالة » (٨٣٣) تحت عنوان « بين نعيم الديمقراطية وجحيم الشيوعية » كلمات مدحت بها الإنجليز فى حفاظهم على مبدأ الحرية وتأرهم بالحياة الديمقراطية الحرة حينما تقارنهم بالأمريكيين أو الروس .

وكاتب هذه السطور يحتقر الشيوعية ، كما يكفر بكل هذه النظم الغربية الفاشلة . أما الذى دعانى إلى الكتابة إليك ، فهو أنى أستكثر جداً ذلك المدح المعمم الذى أضفيته على الإنجليز حينما قلت إنهم « أصحاب ديمقراطية يؤمن بها الحاكم ويستشعرها المحكوم ، ويلتقون جميعاً فى رحابها كأكرم ما يلتقى الإنسان الكريم بالإنسان الكريم » ...

إذ كنت تقصد يا سيدى أنهم يسيرون وفق هذا المبدأ فى انجلترا وحدها فهو صحيح ، ولكن الإنجليز لا يستحقون على ذلك كل هذا المدح ، بل يجب أن يقول إنهم أنانيون وغير إنسانيين ، وإنهم لم يؤمنوا بعد بمبدأ الحرية الذى يجعل الناس سواسية كأسنان المشط مستعمرين أو مستعمَرين . فالإنجليز خارج انجلترا حكام إرهابيون بكل ما فى هذه الكلمة من معنى ، وأظنك قد سمعت بالقنابل التى فتكت بمواطنيك من أبناء الجنوب فى شهر نوفمبر الماضى فى « عطبرة » و « بورسودان » ، وبمئات الجرحى ومئات الذين ضربوا بالعصى السليطة فى « الخرطوم » ، ومئات الذين زجوا فى سجون البلدان الأخرى بالسودان لشئ بسيط هو أبسط ما يسمح به للفرد فى ظل الحكومة الديمقراطية ، هو إعلان الرأى سواء بالكتابة أو الخطابة أو المظاهرة السلمية العزلاء !

وأظنك تسمع بسلسلة المحاكمات الجارية اليوم تحت المادة (١٠٥ من قانون عقوبات السودان) ، لأن فلاناً كتب مقالا ، أو أدلى بتصريح من شأنه أن يسبب كراهية الإنجليز أو حكومة السودان ، وغير ذلك ... فما رأى الأستاذ فى هذه الديمقراطية المزيفة ؟ ! أقول لن يستطيع الإنجليز أن يحصلوا على مدحك هذا عن جدارة واستحقاق حتى يتساوى المحكوم فى (الخرطوم) بالمحكوم فى (لندن) فى كل الحقوق الديمقراطية ، وحتى يؤمن الإنجليز ببيتى فيلسوف العرب المعرى :

ولو أنى حبيت الخلد فردا ... لما أحببت بالخلد انفرادا
فلا هطلت على ولا بأرضى ... سحائب ليس تنتظم البلادا

وإنى لفى انتظار ردك الكريم .

(السودان) ج . ح البشير

هذا هو العتاب الوطنى الكريم الذى تلقيته من الجنوب وأشرت إليه فى عدد مضى من « الرسالة » ... إن كلماته اللاهبة بصدق الوطنية وحرارة الإيمان لتهزنى هزاً عنيفاً ، تهزنى لأنها تحمل إلى من أعماق النفوس الأبية نفحات ونفحات ، وتنقل إلى من سجل الجهاد النادر سطوراً هى فى حساب الشعور صفحات ... أما العتاب — وإن كنت لا أستحقه — إلا أننى أتلقاه من نفسى منزل الود الخالص والأخوة المتسامية ، الأخوة التى استروحت أنسام الأرض الطيبة على ضفاف نهر واحد وتحت سماء وطن واحد !

يا أخى ، يا أخى فى الله والدين والوطن ... إن الأرض التى جمعت بين قلبى وقلبك لتجمع بين جراح وجراح ، وإن النيل الذى ربط بين روحى وروحك ليربط بين كفاح وكفاح ... أنا هنا وأنت هناك ، ويا بعد الشقة فى منطق الظلم البغيض ، ويا قربها فى منطق الحب المتغلغل فى طوايا الوجدان ... نحن يا أخى فى ميدان الجهاد يد تمد إلى يد ، وفى معرض التضحية قدم تسعى إلى قدم ، وفى مجال الوفاء عاطفة تنبض من عاطفة ... فكيف تعاتبنى على كلمات قلتها فى سياق الحديث عن قوم يؤمنون بالديمقراطية فى أرضهم ، ويكفرون بها فى أرض الناس ؟ !

أجل ، يا صديقى ، لقد كنت أتحدث عن الإنجليز فى بلادهم ، إنهم هناك أصحاب ديمقراطية يؤمن بها الحاكم ويستشعرها المحكوم ، ويلتقون جميعاً فى رحابها كأكرم ما يلتقى الإنسان الكريم بالإنسان الكريم ... حقيقة نسجلها فى اطمئنان ويسجلها

التاريخ ، حتى إذا ما سجلنا النقيض كنا أمناء على الحق سواء أشدنا بالعدل أم أشرنا إلى الظلم والطغيان !

من الحق أن نعت الإنجليز بأنهم مثاليون فى بلادهم ، مثاليون فى قيم النزاهة ومعايير الخلق وموازين الإنسانية والضمير

ومن الحق أيضاً أن نعتهم بأنهم مثاليون فى غير بلادهم ، مثاليون فى الأنانية والجشع ، وضيعة الضمير والخلق ، وانتفاء العدل والإنصاف . وتلك هى المناوين الضخمة التى يسطر تحتها التاريخ كلماته الخالدة حين يعرض للحكم البريطانى فى أرضه وكل أرض سكنها الأحرار فى كل زمان ومكان !

يا حى ، يا حى فى الله والدين والوطن ... إن الأنشودة الرائعة التى يدأناها فى شمال الوادى ، أنشودة الجهاد التى انطلقت من قيثارة الأحرار ، قد أذن الله أن ترسل أنغامها فى جنوبه . وكل نغم إلى فناء ، وكل نار إلى رماد ، وكل ذكرى إلى نسيان ... ولكن أنغامنا ستظل إلى الأبد ترن فى مسمع الزمن ، ولكن نارنا ستظل إلى الأبد تضىء الطريق للسالكين ، ولكن ذكرانا ستظل إلى الأبد قصة تروى وعطراً يفوح !

ولا عليك يا أخى من تلك القيود — إن معدنها الرخيص سيذوب يوماً تحت وهج النار المتأججة فى حنايا الضلوع !

ولقد قال أبو العلاء ما قال لأنه إنسان ، ولكن أين من يستمع لنداء الإنسانية وقانون السماء ؟ ألا ليت الطغاة قد جعلوا شعار حكمهم هذه الكلمات التى انطلقت من أعماق بطل الحرية إبراهام لنكولن : « إن ضوء الشمس لا يفرق فى يد الله بين أحرار وعبيد ، فلم يفرق ضوء الحرية فى أيدينا بين أنصار وخصوم » ! ومع ذلك فنسير يوماً جنباً إلى جنب ، وقلباً إلى قلب ، وعيوننا أبداً إلى الأفق البعيد !

صورة أوربية حول كتاب لأوتير رامبو :

أوتير رامبو شاعر من شعراء الرمزية فى الأدب الفرنسى توفى فى أواخر القرن التاسع عشر عام ١٨٩١ — ولقد كان رامبو صديقاً حميماً لشاعر الرمزية الأول بول فرلين ، حتى لقد تعرضت تلك الصداقة الوطيدة لتجريح بعض النقاد من ناحية السلوك الأخلاقى !

ونترك هذه الناحية الشائكة لنقول إن إحدى دور النشر الكبرى فى باريس قد أعلنت فى الأيام الأخيرة عن حصولها على مجموعة شعرية لرامبو ، وأنها على أهبة طبعها لتكون بين أيدى القراء — ولقد كان معروفاً أن هناك أدباً فرنسياً كبيراً يمتلك هذه المجموعة التى كتبها رامبو بخط يده وتركها بعد موته دون أن تأخذ طريقها إلى المطبعة . ومن هنا أحدث الخبر ضجة كبرى فى الأوساط الأدبية الفرنسية ، حتى لقد تهافت المعجبون بفن رامبو على ألوف النسخ المطبوعة فنفدت فى مدى يومين !

أما النقاد الفرنسيون ، فقد استقبلوا الكتاب بحفاوة بالغة دفعت أحدهم وهو « باسكال بيا » إلى أن يكتب عنه كلمة مستفيضة رفع فيها شعر رامبو إلى القمة من الأدب الفرنسى الحديث — وحين فرغ الكاتب الفرنسى الكبير « فرانسوا مورياك » عضو الأكاديمية الفرنسية من مطالعة المجموعة تناول قلمه ليكتب مقالا يعرب فيه إعجابه البالغ بفن رامبو ، ذلك الإعجاب الذى يفرز الدموع فى عينيه وهو ينعت لمسات الشاعر فى كل قصيدة من قصائده !

وفى الوقت الذى هم فيه مورياك بأن يبعث بمقاله إلى جريدة « الفيجارو » أذاع أحد الكتاب الفرنسيين وهو « بيير بريسون » خبراً مفاده أن هناك خدعة كبرى وقعت فيها « المار كيردى فرانس » حين أقدمت على نشر كتاب لا يمت إلى الشاعر الفرنسى بصلة من الصلات ، مؤكداً أن النسخة الخطية التى طبعت لم يكتبها رامبو وإنما كتبها شابان عابثان يسعيان إلى جمع المال من طريق غير شريف ! واهتزت الأوساط الأدبية الفرنسية تحت وقع الخبر ، وبخاصة حين أعلن الكاتب السريالى الكبير « أندريه بريتون » أن النسخة الخطية التى كتبها رامبو بين يديه ، وأن تلك التى نشرت ما هى إلا تقليد بارع ! وانقلبت الضجة إلى خصومة عنيفة انقسم بسببها الأدباء الفرنسيون إلى فريقين : فريق ينتصر لباسكال بيا وفرانسوا مورياك حين يزعمان أن التقليد لا يمكن أن يسمو إلى مثل هذا الأداء الفنى الرفيع ، وفريق آخر ينتصر لأندريه بريتون وبيير بريسون حين يؤكدان أن الأمر لم يكن إلا خدعة نسجت خيوطها بمهارة !

وأخيراً انتهت الخصومة العنيفة إلى مهزلة ليس لها نظير — لقد اعترف الأديبان الناشئان بخطئهما الجريئة ، ذاهبين إلى أنهما لم يهدفا إلى الحصول على المال عن طريق غير شريف ، ولكن هدفهما هو أن يحملا على شهرة أدبية لا يستطيعان أن يصلا إليها عن طريق إسمين غير معروفين ، ولقد دانت لهما تلك الشهرة عن جدارة أيدهما بقلبه وقلمه عضو من أعضاء الأكاديمية الفرنسية ... هو فرانسوا مورياك !

قصة فريدة نهديها إلى أدبائنا الناشئين ممن تعرض عن إنتاجهم دور النشر وتوصد المجلات الأدبية أبوابها في وجوههم .. نهديها إليهم لندلهم على أقصر طريق يصلون منه إلى الشهرة الأدبية وقلوب الناشرين !!

بعض الرسائل من منبع البريد :

رسالتان من « العراق » وكاتباها من « بغداد » ، أما الأولى فمن الأديب الفاضل عمر عيسى السامرائي معهد التربية البدنية وبها سؤال عن بعض ماجاء بكتاب « على هامش السيرة » من آراء متناقضة للدكتور طه حسين ، وأما الثانية فمن الأديب الفاضل إسماعيل محمد السامرائي وبها سؤال آخر عن بعض ماجاء بمسرحية « شهر زاد » من فلسفة لفظية تخالف منطق الواقع للاستاذ توفيق الحكيم ، وسأجيب عن السؤالين في العدد القادم من « الرسالة » . وهذه هي الرسالة الثالثة من « عمان — شرق الأردن » تحمل إلى معلومات طريفة سبت في قالب من التهكم اللاذع على ذلك الفصاص العامي النابغ الذي قلت عنه إنه درس فن القصة في كتاب القرية ، ولقد كنت أود أن أثبت هذا التهكم غير أني تذكرت أن المقصود به أهون من أن يشار إليه بأي لون من ألوان الذكر ، ولهذا أعتذر للاديب الأردني الفاضل أحمد عزيز يتوغن شاكراً له كريم تقديره . والرسالة الرابعة من « البحرين — البحرين » أشكر لمرسلها الأديب الفاضل مبارك راشد الخاطر حسن ظنه ، وأجيبه بأن رأيي في شعره هو أن أداءه اللفظي لا بأس به وأن كل ما ينقصه هو العناية بالأداء النفسي ، وتلك ناحية سأعرض لها بالنقد والتحليل في عدد مقبل من « الرسالة » تحت عنوان «الأداء النفسي في شعر المهجر» . والرسالة الخامسة من « عدن » يأخذ على فيها الأديب الفاضل علي باذيب ذلك الرأي الذي سبق أن أبديت فيه إعراضي عن إخراج كتاب مادام الجمهور القارئ معرضاً عن شراء الكتب ، يا صديقي أنا شاكر لك تناولك الخاطر وتلك التالية ، أما الإعراض عن التأليف فهو إلى حين ، وليس بمستبعد أن تنتهي أزمة القراء ويتجدد الأمل !

وأنتقل بعد ذلك إلى الرسالة السادسة وهي من « عطبرة — سودان » لأقول لصاحبها الأديب الفاضل مكرم سعيد إنني مقدر له هذا الشعور النبيل المتدفق من كلماته ، ولست أملك إلا أن أستجيب لرغبته في الأيام المقبلة . وإلى الرسالة السابعة وهي من « الخرطوم — سودان » أيضاً لأقدم خالص امتناني للأديب الفاضل عبد الرحيم محمد أحمد على تحيته الصادقة ، ولأجيبه عن رغبته في أن أخص الأدب السوداني بشيء من العناية بأنه يؤسفني حد الأسف ألا يكون بين يدي من نصوص هذا الأدب ما يمكنني من الكتابة عنه ، وهذا لو بعث إلي كتاب السودان وشعراؤه بإنتاجهم الأدبي مطبوعاً لأقوم بدراسته وتقديمه إلى القراء . أما الرسالة الثامنة فمن الأديب الفاضل عبد الرحمن السياسي بهيئة الإذاعة البريطانية « بالخرطوم — سودان » ، وفيها يرد على الأستاذ محمد غنيم بمناسبة تحطئته لي حين قلت « لم أكن أعرف » مستشهداً بالآية الكريمة من سورة المدثر « ولم نك نطعم المسكين » إن تعقيبي على هذه اللفتة الموفقة بسخالص الإعجاب هو أن الأستاذ غنيم معذور لأنه « لم يكن يعرف » : أن التعبير صحيح لاغبار عليه

وتبقى بعد ذلك أربع رسائل مصرية ... الأولى من الأديب الفاضل السيد علي الشوربجي الطالب بكلية الحقوق ، وفيها يناقشني نقاشاً طويلا حول الكلمة التي كتبتها عن أبي العلاء ، يا صديق أرجو أن تعود مرة أخرى إلى ما كتبت لأن هناك بعض معان قد خفيت عليك ولعلها تتكشف لك بعد التأمل والمراجعة . والثانية حول أبي العلاء أيضاً وهي من جندي فاضل بالجيش المصري رمز لنفسه بتلك الحروف الأولى من اسمه (م . ف . ا) ... أنا شديد الإعجاب بأن يكون بين جنودنا البواسل من يقرأ « الرسالة » ويشق الأدب ، ويغوص بفكره فيما كتبت عن أبي العلاء ، ويخاطبني بقوله «سيدي طبيب الأدب» أنا مؤمن بما جئت به عن الحرمان النفسي والجسدي عند أبي العلاء ، ولكن ما ذا تقصد بالحرمان القلبي حين قلت إن قلب أبي العلاء كان يشكو الحرمان من العاطفة مع أن هذا القلب كان عامراً بالعاطفة الانسانية » ؟ ... عزيزي أديب الجيش، أنا أقصد العاطفة الأنثوية لا العاطفة الانسانية ؛ تلك التي تنسب إلى المرأة وكان يمكن أن تملأ بعض الفراغ في حياة أبي العلاء أما الرسالة الثالثة فمن الأديب الفاضل (م . م س) بمعهد أسيوط الديني ، إن ردي عليه هو أنه يستطيع أن يدرس اللغة الإنجليزية وهو باق في دراسته الأزهرية ، وذلك عن طريق بعض الدروس الخاصة من أحد المدرسين الأكفاء ، وهذا هو الطريق الوحيد الذي يحقق له ما يصبو إليه . وأنتهي إلى الرسالة الرابعة أو الثانية عشرة والأخيرة لأشكر لمرسلها الأديب الفاضل محمد فتحي سعيد بمنهور هذا الإخلاص الرائع للمثل العليا الفكرية ، أما شعره الذي بعث إلي به فأود أن يتمهده بالصقل لأرضى عنه في المستقبل القريب .

أنور المعداوي

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

لسنا أوربيين ولا عالميين :

كتب الأستاذ إبراهيم المصري في العدد الأخير من « أخبار اليوم » حديثاً جرى في مجلس حضره ، بين رجل أجنبي يستوطن مصر وبين شاب مصري جامعي . حمل الرجل الأجنبي على الثقافة الشرقية ، واتهم العقل الشرقي بالهوس الديني والتواكل للقدري والتجرد المطلق من الروح العملية ، وزعم أن العلم المادي التجريبي كما تفهمه الحضارة الحديثة دخيل على العقل الشرقي المولع منذ القدم بالأخيلة الدينية .

وقد رد عليه الشاب الجامعي بالتفرقة بين الشرق الإسلامي وبين الشرق الأقصى والعقائد الأسيوية التي تنفر من الحياة وتحتقر العمل وتنادي بخنق الرغبات البشرية ، وقال الشاب إن الحضارة الإسلامية استمدت قواها من الغرب أكثر مما استمدتها من الشرق ، فالعلم العربي مدين للاغريق أكثر مما هو مدين للهند أو للصين أو للشرق الأقصى . إلى أن قال : « فالشرق الإسلامي إذن ليس هو الشرق الذي تزعم . ونحن في الحقيقة لسنا بالشرقيين الأسيويين الحالمين . نحن من الغرب . نحن أوربيون » .

أعجبني تفريق الشاب بين الشرق الإسلامي وبين الشرق الحالم للغرق في العقائد البعيدة عن الحياة العملية ، كما أعجبني إرجاعه التأخر الملحوظ علينا اليوم إلى سياسة الأجنبي المستعمر وسياسة بعض الإقطاعيين من رجالنا . ولكن الشاب لم يعرّف الشرق الإسلامي تعريفاً صحيحاً ، فليس استمدادنا من أوربا بالذي يجعلنا أوربيين ، كما أن أوربا لم تصبح من الشرق الإسلامي لأنها أخذت منه في بعض العصور . ونحن لسنا بحاجة إلى ثبات انتمائنا بأوربا أو لسيتنا إليها لننفي عن أنفسنا ما نتهم به من الإغراق في الخيال والبعد عن الحياة المادية وما يسمونه الهوس الديني . والواقع أن بعض الذي يرموننا به هو الذي ينفي عنا هذه التهم ، وهو النزعة الدينية ، فالدين الإسلامي لم يفصل في شؤون الحياة بين مادي وروحي يدعو إلى هذا وينهى عن ذاك ، بل هو ينظر إلى الحياة باعتبارها وحدة كاملة ، وليس هو دين عزلة ، بل هو نظام حياة إنسانية وتشريع مجتمع كامل .

والعقلية العربية هي كذلك عقلية عملية ، إلى جانب تمسكها بالقيم الإنسانية والمثل العليا ، فقد كان العربي يصنع الصنم فإذا جاع أكله ، وهذا يدل على العقلية العملية البعيدة عن العقائد الخالية

فنحن لسنا من الحالمين ولسنا أوربيين ، وإنما نحن ... نحن عرب مسلمون ، لم نؤخر نزعة دينية ولا فلسفة روحية ، وأنا لم يأخذني أبداً رنين الكلمة السائرة التي قالها أمين الريحاني وهي : « أنا الشرق عندي فلسفات ، فمن يبيعني بها دبابات ؟ » فالشرق العربي الإسلامي لم تعقه فلسفات عن دبابات ، وإنما العائق ، كما جاء في مقال الأستاذ إبراهيم المصري سياسة الاستعمار والإقطاع ، والتخلص من هذين يشتري الشرق العربي الإسلامي الدبابات ، لا بما لديه من فلسفات .

في مسابقة المجمع اللغوي :

أعلن المجمع اللغوي عن مسابقة في نقد الشعر العربي من منتصف القرن التاسع عشر إلى اليوم .

فهل يريد المجمع الشعر العربي في جميع البلاد الناطقة بالضاد الممتدة من المحيط الأطلسي غرباً إلى الخليج الفارسي شرقاً ، ومن جبال طوروس شمالا إلى خط الاستواء جنوباً ، بالإضافة إلى إنتاج الشعراء الذين يقيمون في أمريكا وأوربا ؟

أرجو التكرم بالإفادة ولكم جزيل الشكر .

محمد سير كيلاني

رجعت لنص المسابقة وهي مسابقة سنة ١٩٤٩ — ١٩٥٠ فوجدته يتضمن أن يجاز بمائتي جنيه « أحسن بحث في نقد الشعر العربي في الفترة التي تبدأ في النصف الثاني للقرن التاسع عشر إلى اليوم — ولا ينقد شعر الأحياء » والواقع أنه موضوع متناهي الأطراف ، وهذه الفترة بالذات زاخرة بالإنتاج الشعري للفنون

المذاهب والمختلف الألوان، بل هي تشمل الشعر العربي الحديث كله وهذا الشعر ليس من السهل الحصول عليه أو على نماذج لمذاهبه ومواطنه، ومراجعه نادرة، وطرقه متشعبة. وهو الموضوع الذي قررت الجامعة إنشاء كرسي له يسمى باسم «شوقي» ولا تزال حائرة في اختيار أستاذه.

فكيف يوفى ذلك الموضوع في بحث يقدم في مثل هذه المسابقة؟ إن المجمع ينظم هذه المسابقات لتشجيع الإنتاج الأدبي، ولكن الأمر يكاد يخرج في هذا الموضوع إلى التعجيز عن الإنتاج الأدبي..

لقد حاولت أن أفهم أن المقصود من الموضوع بحث جزئي لا يخرج عن نطاق الفترة المحددة حتى يكون معقولا، ولكني رأيت النص لا يساعد على هذا الفهم، ولو كان هذا هو المراد لما أعيا بيانه لجنة الأدب بالمجمع.

المرأة:

تعيش فاطمة مع أبيها القعد في الاسكندرية. يتهدم المنزل الذي يقطنانه وهي في المدرسة، فيذهب بأبيها ولا عائل لهما سواه، فتتوجه إلى القاهرة حيث أمها متزوجة من رجل آخر. يرحب بها زوج أمها ويتودد إليها تودداً مريباً، ولا تقف على حقيقة

كشكول الأسبوع

□ جاء في مجلة العصور أن خليل مطران أولم دعا إلى إقامة أول حفلة تأبين وأول حفلة تكريم في مصر، وكان ذلك في تأبين البارودي في اليوم الأربعين من وفاته، وفي تكريم الشيخ سلامة حجازي. ومما يؤسف له أن أحداً لم يفكر في إقامة حفلة التأبين بعد أن مضى على وفاته أكثر من أربعين يوماً، فأين الذين كانوا يقيمون له حفلات التكريم في حياته؟

□ ظهر «البلاغ» مساء الخميس الماضي وعلى رأس صفحته الأولى العنوان التالي بالنص: «بريطانيا وأمريكا تؤيدان رفع الحظر على إصدار السلاح إلى الشرق الأدنى لأنه أصبح غير ذات موضوع» ويخيل إلى أن المحرر الذي اختلس «غير ذات موضوع» من تعبير لطفي السيد بأنها عن المعاهدة، مزهو بسرعته في هذا الاقتباس من المؤنث للمذكر دون تغيير!

□ من أنباء (رويتر) بباريس أن السيد مصباح صلاح نائب رئيس المجلس الجزائري أعلن أنه يدعو فرحات عباس محرر صحيفة الجمهورية الجزائرية إلى المبارزة لأن مقالة بالصحيفة تضمنت طعناً فيه.

وأذكر بهذه المناسبة ما حدث بمصر منذ شهور في مبارزة السيف الحالية، إذ تقدم اللاعب الإيطالي الفائز من اللاعب الفرنسي المنهزم ليصافحه، فصفع الثاني الأول. ولم يذع نبأ هذا الحادث إذ ذاك لا رويتر ولا غير رويتر.

□ نشرت «آخر لحظة» أن محمد محمود خليل بك رئيس جمعية محبي الفنون الجميلة في مصر، عهد إلى لجنة من الفنانين الفرنسيين أن يختار كل منهم تمثالا لمحمد علي باشا الكبير، على أن يختار أحسن التماثيل الخمسة ليوضع في ميدان محمد علي بالقاهرة، ويأخذ كل من الفنانين أجره من الحكومة المصرية سواء اختير تمثاله أم لا. وهي عملية مؤسفة على حساب المال المصري والفن المصري

□ أهم المعروضات الفنية التي أخذت من مصر لعرضها في «معرض مصر — فرنسا» من الآثار الفرعونية، وعده ليست في حاجة إلى دعاية، فقد شبعنا من تنويه الأجانب بها، أما الجدير بالاهتمام في هذا المجال فهو الأعمال الفنية المصرية الحديثة.

□ تفتتح الإذاعة العربية الباكستانية يوم ١٤ أغسطس الحالي، وهو يوم عيد استقلال الباكستان، وقد أعد له برنامج حافل يحتوي على كثير من المسجلات في مصر

□ رأت رابطة الأدباء من الإنسانية أن ترفع الناس من مآسيها في هذا المر، عملا باقتراح وكيلها الأستاذ مبارك إبراهيم.

□ تذيع محطة الشرق الأدنى في برنامج المرأة، مختارات مقتطفة من كتاب جديد صدر في الشهر.

□ تناقلت الصحف والمجلات المصرية في هذا الأسبوع، أن كاتبين يابانيين سيفدان برحلة في الشتاء القادم إلى الشرق العربي، ومن أغراضهما اختيار بعض المؤلفات المصرية الحديثة لترجمتها إلى اليابانية ونحن بدورنا ننقل هذا الخبر، والعهدة على الأصل.

أبيه تغادر منزله ليلا، وتنقذها الحاجة محروسة من يد الشرطي الذي اشتبه فيها، وتأخذها إلى منزلها وتكرمها. والحاجة محروسة هي «ملكة البسبوسة» التي تبيع هذا الصنف من الطعام وأمثاله أمام مصانع الزجاج الأهلية. تعيش فاطمة في منزل الحاجة محروسة الملاصق لمنزل يسكنه أخوان من عمال المصانع هما محمود وفريد، يشاهد كل منهما فاطمة وهي تنشر في نافذة مقابلة لنافذتهما، فيحاول كل منهما أن يظفر بها، يخطبها فريد من الحاجة محروسة، ولكنها تحب محموداً. ولما يعلم محمود بالخطبة يحزن ويذهب إلى مرقص ليتسلى هناك، وتأتي إليه نجمة الراقصة ويشربان معاً، وتوصله إلى منزله وهو ثمل، ويراها عنده أخوه فريد، ويدور حديث بين الأخوين يقول فيه فريد لمحمود إنه تنازل له عن فاطمة لما عرف أنها لا تحبه ولم يكن فريد صادقاً في ذلك — وإنما كان يدبر أمراً، اتفق مع نجمة الراقصة على أن تذهب إلى أخيه محمود بحيث تراها عنده فاطمة. ويظل الأخوان يتنازعان إلى أن ينتهز فريد فرصة صعود أخيه على آلة عالية في المصنع فيعبث بأسفلها حتى يسقطه، وينقل محمود إلى المستشفى، وتذهب

إليه نجمة الراقصة ، فتدرك من حديثه إليها أن أخاه هو الذي دبر إسقاطه ، فتصر على إبلاغ (البوليس) ويسمعها فريد ، فيلقاها ن مر بالمستشفى ويطمئنها بسكين ، ويفر ثم يقبض عليه . ويشفى محمود وتأتي إليه فاطمة فيخرج بصحبتها من المستشفى مسرورين .

ذلك هو ملخص قصة فلم « المرأة » الذي عرض لأول مرة في سينما أوبرا بالقاهرة ، والقصة من وضع عبد الفتاح حسن ومحمود السباع ، والأول هو مخرج الفلم ، واشترك الثاني في التمثيل وهو في الفلم (فريد) ومثل كال الشناوي (محمود) وأحلام (فاطمة) وصيحة توفيق (نجمة) وماري منيب (الحاجة محروسة) .

والقصة كما ترى تدور على نزاع أخوين على امرأة ، وهي قصة عريقة في القدم ، قصة ابني آدم هابيل وقابيل . ولننظر كيف عولجت في هذا الفلم ، ولكن أرانى أمام أمر آخر هو ولا شك أهم من موضوع القصة في نظر العاملين في إعداد الأفلام المصرية ، ذلك هو استخدام مميزات في الممثلين وتطويع الحوادث لإبراز هذه المميزات ، ممثلا الآن : صوت أحلام ، ورسامة كال الشناوي وظرف ماري منيب ، ورشاقة صيحة توفيق . أما أحلام (فاطمة) فنراها في أول الفلم تلميذة في مدرسة ، فلا بد إذن أن تكون مدرسة موسيقى لتغني في (الفصل) أغنية تتضمن التنديد بظلم الرجل للمرأة ، وهي أغنية لا مناسبة لها ، وهي أيضاً تافهة فهي تلخص ظلم الرجل للمرأة في أنه يريدها عالة عليه ! ثم تقول إنها لا بد أن تطالب بحق الانتخاب ، وهنا تضم أحلام أسفل قبضة يدها اليمنى على كفها اليسرى وتحركها لتشير الرجال وإشارهم بحركة الفلفل ! وهي حركة غير لائقة ، وهي كذلك بأنحة .

وفي أحد المناظر يقال إن فاطمة ذهبت إلى أمها بحلوان ، ثم تظهر فاطمة في حلوان لا مع أمها ولا في منزلها بل في حديقة كبيرة ، وذلك لتغني أحلام بين الأشجار والأزهار في حديقة حلوان التي خلت لها — أرأيت حديقة عامة تخلو للطرب كي تغني فيها وحدها .. ؟

وأحلام مغنية ذات صوت جميل ، ولكنها في الفلم تغني بطريقة واحدة في المواقف المختلفة ، ولا ينسجم غناؤها مع الحوادث ، فتشعر كأنها تغني ربما بتيسر تتابع المناظر . وقد أجادت تمثيل البنت المسكينة ، وهي تصلح للادوار التي تستحق فيها العطف لا الحب .

١٤ - ٣٣

أما كال الشناوي فله نصيب الأسد في هذا الفلم ، فقد طغى على من معه من الممثلين ، وهو الفتى الأول فيه ، وتشير به القصة على أنه البطل الجميل المحبوب الخير ، وأخوه مكروه لا تستخف للبطلة ظله فلا بد أن يكون مرذولا يدبر الأذى حتى يقع في شر أعماله . قد يقع هذا في الحياة وقد لا يقع ، ولكنه لازم في أكثر أفلامنا المصرية .

وأما ماري منيب فقد اختيرت « ملكة للبسبوبة » وملجأ لفاطمة ، ولكثرة قيامها بمثل هذا الدور في الأفلام المختلفة أصبحت ذات شخصية تتميز بالظرف الشعبي الأصيل ، وهي كذلك في هذا الفلم ؛ أما علاقة فاطمة بها فهي عجيبة . امرأة تترزق من صنع البسبوسة والكنافة والمهلبية ، تؤوي في بيتها فتاة لا عمل لها إلا الغناء في الشرفة ، كأنها تعدها خاصة لمنازلة محمود إياها وليتنازع عليها الأخوان !

وأما صيحة توفيق فقد قامت بدور الفتاة اللعوب فأجادت في هذا الدور أكثر من تأديتها للدور الفتاة الحية المضحية ، فقد كانت متكلفة في هذا ، كما كانت متكلفة في الأغنية التي غنتها ، والأغنية نفسها سخيفة ، فهي تغني لحبيبها فتقول : « يا خراب عليك ! » وفي هذه الفتاة حيوية وقدرة على التعبير ، ويلمح المشاهد مواهب فيها لم تظهر ، لأنها لم تستغل ، في هذا الفلم .

وأظهر شيء في الفلم بجاذبه للواقعية ، لحياة العمال وما كنهم وملابسهم وسائر مظاهرهم لا تقل عن أمثالها في حياة العمال بأمريكا ! وتصور أن منزل الحاجة محروسة بائعة البسبوسة بأشجار وأزهار تغرد بينها أحلام !

وعهدنا بالراقص الكبيرة أن تكون مراداً للاغنياء والوارثين ولكنا نرى رواد المرقص الفخم في هذا الفلم ، وبعض أنظار حسانه القاتنات ، من عمال مصانع الزجاج الأهلية ..

ومن مآخذ القصة أن والد فاطمة بدا في أول منظر شيخاً ضعيفاً مقعداً ، فهو لا يكسب شيئاً من عمل يزاوله ، ويدل منظره وحاله في المنزل وأثاثه على معيشة لا بأس بها ، فلا بد أن يكون له إيراد ما ، وتهدم المنزل لا يذهب إلا بالرجل وأثاثه ، ولكنا نرى ابنته شريدة لا تجد قوتها ، فأين مصادر الإيراد التي كان يستمد منها أبوها ؟

عباس خضر

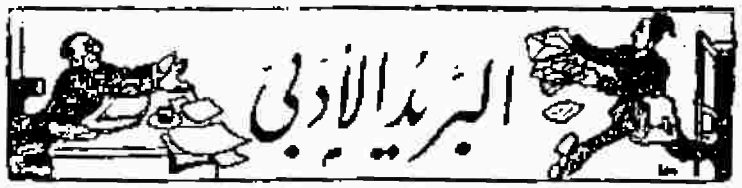

أهمى خليل مطران في هجرة الهدى التي قصدت في نيويورك :

رب القريض وسيد القلم وفيت قسطك للعلى فنم

هذا البيت الجامع الذي عبر به المطران عن شعور العالم العربي نحو اليازجي يصح فيه .

بل إن الشعور بفقد خليل مطران أوفر شمولا وامتدادا لأن العالم العربي أصبح أعظم اتساعا بعد أن انتشر أبناء العربية في مشارق الأرض ومغاربها وهم لما يزالون أوفياء بعهد أوطانهم الأولى ، والرعيل الأول منهم شديد التمسك والمفاخرة بوطنه الأم

ومعظم المهاجرين من متكلمي اللغة العربية هم من اللبنانيين . وخليل مطران يمت إليهم بصلة نسب ؛ لأنه رأى النور في ظلال بعلبك : مدينة الشمس ومهبط الوحي العلوي في مسارح الفن والجمال . إلا أن خليلا من الهبات التي جاد بها لبنان على العالم ، فصار لا شاعر القطرين فقط بل شاعر الأقطار العربية . وكان للقطر الشقيق مصر الفضل الأكبر في إفساح المجال لإعلاء مواهبه وتجلي عبقريته . فأفضلت مصر بذلك على عالم العروبة بأجمعه .

وقد رأينا من شواهد المنزلة العليا التي يحتلها خليل مطران في عالم العروبة بشتى فروعه ما كان من إجماع الرأي في العالمين : القديم والجديد على تكريمه في ذكرى يوبيله الذهبي الذي وافق الاحتفال به في السنة ١٩٤٧ . ففي مصر جرى الاحتفال الرائع في دار الأوبرا الملكية برعاية جلالة الملك ، وأقيمت في نفس الموعد احتفالات متشابهة في سائر الأقطار العربية ، كما أقيمت حفلة في نيويورك برعاية جريدة الهدى ، بحضور الأستاذ إميل زيدان صاحب الهلال ومندوب لجنة التكريم المركزية في القاهرة ، وبمشاركة عدد كبير من رجال الأدب من مقيمين وزائرين ، ومن جالية العرب وفي مقدمتهم فارس بك الخوري .

وما دمنا قد أكرمنا خليل مطران حيا ، اعترافا برفيع أدبه وعميم فضله فأحرى بنا أن نشارك العالم العربي في تكريم ذكراه برهانا على شدة شعورنا بألم خسارتنا إياه . وحقا إن الخسارة بليغة والألم شديد ، وإذ نحن نقوم بواجب الذكرى فإنما نقدم على ذلك عن شعور عميم .

وما هذه بالمرة الأولى التي تنهض بها جريدة الهدى للقيام بالواجب نحو أدباء أفذاذ أفضلوا على عالمنا بما خلفوا فيه من آثار خالدة من نتاج الأدب . وإذا نحن لم نذكرهم جميعا فنكتفي بالإشارة إلى شوقي وحافظ والبستانيين عبد الله وسليمان الذين كانت حفلة تكريم ذكرى كل منهم محل لأبدع نتاج الأدب وأجمل مظاهر الشعور الصادق بين المهاجرين .

وقد خاطبنا في أمر الحفلة التأبينية لخليل مطران طائفة من الأدباء فأجمعوا على إقامتها في موعد الأربعين الموافق اليوم العاشر من شهر آب القادم . وكان في طليعة المجيبين الأديب المصري الكبير المقيم بيننا الآن في نيويورك الدكتور أحمد زكي أبو شادي الذي كتب إلينا في الموضوع يقول :

« إن لجميعة العالم العربي في شاعره العبقري النبيل لأعظم من أن تصور . وما الغاية من التأبين إلا الاعتراف بالجميل واستخلاص العظات والدروس الملهمة من حياة مجيدة ، وإذا كانت مصر ولبنان تتنافسان في نسبة الفقيد العزيز إلى ربوعهما فلا مشاحة في أن لبنان — مسقط رأس مطران — أحق برعاية تأبينه وإن كانت مصر قد تصدرت لطبع آثاره ودواوينه » .

وقد تلطف الدكتور أبو شادي بقبول تولي سكرتيرية لجنة حفلة التأبين ، كما كان قد تلطف بتولي عرافة حفلة التكريم التي أقيمت للفقيد في نيويورك منذ سنتين يقينا بأن علينا جميعا واجب التآزر والتعاون في تكريم النبوغ في ذويه وقد كان الخليل في الطليعة .

في النقد الأدبي :

تتجه مراقبتنا إلى الناقدين في هذه الآونة ؛ فلم نجد مراعاة التنزه عن الملأة ، فإفاضة الإطراء تفيض على النتاج ما يباعد بينه وبين المؤاخذة ، وإذا كان العمل الأدبي الفذ أساسه « التعبير عن الحياة » ؛ فقد نأى الذوق عن تبيانه على أسلوب قوام متسط بعيد عن التحامل والدخل !

وإن منهج « النقد الأدبي » يقوم على « الفهم ، والأناة ، والإلمام والموازنة » ، لكن أداته لم تعد ذات جلال لانحرافها عن القصد إلى الغاية ؛ فالوساطة قد تغلغلت في حياتنا حتى شملت حاسة الضمير فأبدلته وأثرت في حكمه ، وألفت رقابته التي لها القول

الفصل في الحكم على الأمور .

وأدب القصة لون يلون « التجربة والخبرة » ؛ لأنه يصور الحياة تصويراً دقيقاً ؛ فينقل المشاهدات في عبارات تختلف قرباً وبعداً على قدر الملابسة « النفسية » لموضوع القصة .

ورسالة القاص يجب أن تلم إلماماً شاملا بمعنى « التجربة » حتى يجيء عمله الفني صورة حية مشخصة أمام باصرته ، على ألا يوغل في الخيال الجزاف أو الاسترسال المسرف ، استدناء لميول « شعبية » ، أو استثارة لغرائز بدائية .

نقول هذا بعد قراءتنا قصة للرجل الملهم الأستاذ « توفيق الحكيم » ... أسماها « ليلة الزفاف » . وحسبك أن ترى في العنوان سمة استهالة الغريزة ، لكنك سترى تصويراً لرجل « مثالي » أشفق عليه الخيال الحكيم ما باعد بينه وبين البشرية ، حتى كاد أن يلحقه بالتجريد ، ويدنيه من خلائق النبوة ! وإن تلك الصورة — الوهمية — على ما فيها من تجاف عن الواقع « في الحياة » ، تدلنا على مدى رغبة القاص في السمو بالمعاني الروحية ، ومجانبة المحسوسات ، لكنها في الوقت نفسه تثير الغريزة الفوارة بالجنسية عن طريق أسلوب العرض القصصي استجابة للميول « الشعبية » التي أشرنا إليها .

ولقد صوّرت لنا صورة « البطلة » أنها تنام على وجهها (كذا !) ثم تحتضن الوسادة . فهل يرضى الفن الرفيع أن يعبر رجل أصيل في التعبير الأدبي السامي : « وطوقته وضمته — وإذا هو يجد نفسه في مكان الوسادة التي اعتادت أن تحتضنها ليلا ! »

كان يمكن للحكيم أن يقول : « ودنت منه ... ثم سبحت روحاها في سماء الحب القدسي » ... لكنه تعبير شعبي آثره ، وليس هذا فيما نعتقد الرمز الصادق لما يسمونه « الأدب الواقعي »

« نور سعيد »

أحمد عبد اللطيف برسا

تعليم اللغة بدراسة الأساليب:

حضرة المحترم الكاتب النابه الأستاذ عباس خضر

قرأت كلمتكم السامية بالرسالة الغراء عن تعليم اللغة بدراسة الأساليب . وقد كنت أرقب من حين إلى حين الكتابة عن هذا الموضوع الحيوي الذي يتصل بقوميتنا وحياتنا اتصالا قويا .

ولقد راقتني جداً الإحاطة بالموضوع من جميع أطرافه ، فشفيت نفسي ، وانثلجت صدري ، غير أني أحب أن أزداد فهماً لطريقة استخلاص قواعد اللغة العربية من الأساليب ؛ فإنك مع تعليقك عليها لم تشف غليلي ، وتنقع غلتي ، لأنك أتيت بتفسير من عندك وكان ينبغي لك أن تأتي البيوت من أبوابها ، تسأل حضرات المفتشين عن المراد من تعليم القواعد بالأساليب ؛ لأني رأيتك تتكلم عن القواعد باعتبار ما كان . حتى أنك قلت : « ولا تزال مناهج المدارس في اللغة العربية مثقلة بهذا النحو ، وخاصة في المدارس الابتدائية . فالطفل في السنة الثانية مكلف أن يعرف الفاعل والمفعول به والمبتدأ والخبر ومطالب بتكوين جمل ... » . وفاتك أن تعلم أن تلميذ السنة الثانية غير مكلف بمعرفة الفاعل والمفعول به ولا بمعرفة تكوين الجمل ، فقد حذف النحو من منهجه ، وصار يتعلم اللغة بالأساليب من غير استخلاص القواعد

والواقع أن اللغة العربية في أمر مريج وقلق شديد ، فمناهجها في تغيير دائم ، فقد يغير المنهج في العام الدراسي الواحد مرتين أو أكثر — كما حصل في هذا العام — وبجوارها اللغة الإنجليزية لا تغير مناهجها إلا في فترات مختلفة متباعدة .

ومنهج اللغة العربية لو اطلعت عليه لوجدته عجيباً غريباً يدعو للسخرية والابتسام ، فالمدرس مكلف — كما تعلم — أن يستخرج القواعد من الأمثلة أو بتعبير أدق من الأساليب ، ولكن الكتب المقررة لا تفيد المطلوب ، ولا المنهج نفسه يعين على الاستخراج والاستنباط .

فتلميذ المدارس الابتدائية حدد له منهج في اللغة العربية يبدأ بمعرفة المبتدأ والخبر فكيف يستنبط المبتدأ ويعرف أنه اسم وهو لم يعرف الاسم والفعل والحرف ! ثم يطالبه المنهج بالمطابقة بين الخبر والمبتدأ وهو لم يعرف علامات الإعراب : الأصلية والفرعية ثم يطالبه بالإعراب والتلميذ قد حماه الله من المعرب والمبني ، ثم يطالبه بالمطابقة بين الحال وصاحبها والصفة والموصوف ، وهو لم يطالب بمعرفة النكرة والمعرفة ، ليفرق بين الحال والصفة ، إذ الحال ينبغي أن يكون صاحبها معرفة إلى غير ذلك من الأشياء المتناقضة المتعادية ، فليس يمكن أن نقول استخلاص القواعد من الأساليب ونسكت ، بل يجب أن يبين لنا الأستاذ الحميد الطريقة فالأبواب المقررة على التلميذ معلقة بين السماء والأرض . لا تستند إلى شيء ، ولا تقف على أساس .

وما تلك الأساليب ؟ أهي أساليب عصرية أم قديمة ؟ فاللغة العصرية الموضوعة أمام التلميذ إما مفتعلة متكلفة وضعها الواضع للصغار وقد خلت من الرونق والبهاء وإما مختارة من شعراء وكتاب كشوقي وحافظ والمنفلوطي ، ولفهم أعلى من إدراكه ، وإذا كانت الأساليب المشار إليها قديمة فتلك أدهى وأمر ، فأنت أيها الأستاذ في حيرة مني ، فالنحو في المدارس قد بتر بتراً ، والأساليب غير كافية وغير شافية . فماذا نصنع للابقاء على تلك اللغة والمحافظة على رونقها وبهائها ، لقد أبغضنا النحو والإعراب وحيل بين التلميذ والرياضة الذهنية — كما كان يقال — فماذا يقدم له حتى يجد من نفسه لنفسه دائماً يدفعه إلى العناية بها ، والتعلق بآدابها ؟

أما أنا فتشاءم ؛ لأن إهمال النحو سيعطي للتلميذ فكرة خاطئة بجانب فكرة خاطئة سابقة فهو سيعتقد أن اللغة محفوظات ومطالعة وإنشاء لا بالمعنى الذي نفهمه نحن ، وإنما بالمعنى الذي يفهمه التلميذ ، فأي قصيدة تكفيه ، والمطالعة فيها تسامح ، والإنشاء أي كلام يقنع لأن اللغة العامية لغة عربية ، وصدقني أن بعض المدرسين لا يتورع من وضع الدرجة على اللغة العامية ما دام المعنى مستقيما . وبجانب ذلك قد تعلم اللغة الأوربية تعليما صحيحاً ودرسها بعناية ، واهتم بها ليله ونهاره ، فهو يتلقاها نقية من العامية ، ويتمرن عليها بجد واجتهاد ، أما اللغة العربية فتأتيه بعاميتها ، ويقبل عليها من غير اهتمام ؛ لأنه سينجح فيها اهتم بها أو لم يهتم ، وهذه نهاية محزنة ، وخطب جسيم يجب أن نتحاشاه فالواجب إذاً أن يوضع المنهج وضعاً جديداً يلائم بين أبواب النحو حتى يفهمها التلميذ فهماً تاماً وتقدم إليه أساليب جيدة تختار بعد تمحيص وتنقيب .

فإليك أيها الأديب الغيور كلمتي راجياً منك أن تعاود الكتابة في ذلك الموضوع حتى تصل إلى حل يرضي المفتش والمدرس والتلميذ .

السيد حسن قرون
المدرس بوطيج الابتدائية للبنات

رد على معترض :

قرأت في العدد (٨٣٣) من الرسالة الزاهرة كلمة في البريد الأدبي بتوقيع السيد رائد يحيى الشامي . يعترض بها على فقرتين من كلمة سبقت لي في الرسالة بعنوان « ثلاثة جاهدوا فصدقوا » .

وفيما يتعلق بتينك الفقرتين أنبه المعترض الكريم إلى أنه حين يدقق النظر في الكلمة نفسها يجد جواب ما يتساءل عنه في ثنايا الكلام .

على أن الذي عجبت له أن يعرف هذا السيد (الشامي !) أنني من « الساط من شرق الأردن » ثم لا يعرف إلى جانب هذه الحقيقة — التي لم أنكرها يوماً — أنني مواطن في فلسطين منذ ما يزيد على الأربعة عشر عاماً أساهم في التوجيه الثقافي طيلة هذه الفترة من الزمن . ولقد طوفت في مختلف أنحاء البلاد زائراً أو محاضراً ، فتعرضت إلى النفر المثقف من أبنائها . ولعلي لا أبالغ حين أزعم أن الكثيرين من هذا النعرانطيب يعدونني في معارفهم إن لم أكن في أصدقائهم .

ولقد عجبت أيضاً أن يفوت هذا السيد (الشامي !) — إلى جانب ما عرف — أنني منذ سبع سنوات أحاضر من محطتي القدس والشرق الأدنى ، ثم من محطتي دمشق وبغداد (بعد ذلك) عن الأدب والأدباء في فلسطين من قديم وحديث ، حتى انتهيت من ذلك كله إلى أن أضع كتاباً بعنوان « الأدب في فلسطين » وأن أنشر في مجلة الرسالة الزاهرة ما يزيد على عشرة فصول منه ، دون أن أجد من يعترض على ما كتبته أو حاضرت به من أدباء البلاد وأبنائها !!

ثم لا أدري أخيراً كيف فاته أن يعلم أن إدارة المعارف الفلسطينية انتدبتني للعمل في معاهدها بفضل هذه المواطنة التي أشرت إليها آنفاً .. فهل ترى يا أخي المعترض بعد ذلك كله ؟ «أن سمرتي بجغرافية فلسطين وأهلها (على رأيك) محدودة جداً »

فإن كان (خطبك !) — يا أفادك الله — يقف عند حدود الإشفاق على جغرافية فلسطين (وليس غير ؟) فليفرغ روعك ، ولتعلم أني ما تحدثت عن مكان إلا وقد وطئته قدماي ، ولا ترجمت لأديب إلا بعد روية وتبصر واطلاع على ما تصل إليه يدي من آثاره . ثم إن الذي نشرته (أو أذعت به) فصول من كتاب ، وأن في الكتاب ما يفتقده من تتبع تلك الفصول .

ومع ذلك فلن يضيرني أبداً أن أجد من يأتي بأوفى مما أتيت به ، ويصنع أكمل مما صنعت . فما أنا وذاك إلا خادماً حقيقة ، لا نستوفي عما نصنعه أجراً ، إلا أن يكون من مثل هذا الإعجاب الذي كتمه فؤادك ونم عليه قلمك !

محمد سليم الرشدان

البلاغة العربية فى دور نشأتها

تأليف الدكتور سيد نوفل

بقلم الأستاذ على العمارى

هذا الكتاب يؤرخ الدور الأول للبلاغة العربية ، وقبل أن أتحدث عنه أحب أن أقول إن البلاغة العربية تنوء بظلم فادح ، فكل فن ينال قسطاً غير يسير من عناية العلماء ، وهى وحدها التى ظلت قروناً عديدة تضطرب فى دائرة ضيقة من قواعدها السكاكية ، فدراستها فى معاهد التعليم على اختلاف أنواعها فى مصر وفى غير مصر لا تبعد كثيراً عن هذا النهج القديم ، والتأليف فيها مشدود إلى هذا المنهج نفسه بأمراس كتان ، حتى الطريقة الأدبية التى عنى بها بعض العلماء ، وخصوصاً قبل عصر السكاكى لا تنال حظها من الدراسة والتأليف ، ولهذا فكل كتاب يؤلف فى علوم البلاغة على نمط جديد نعتبره خدمة جليلة لهذه العلوم ، والكتب المؤلفة فيها محدودة تعد على أصابع اليدين وبعضها لا غناء فيه ، فلا تزال البلاغة العربية مجاهل يسلكها طلاب المعرفة من غير دليل ، ويقتفون مثانيها ومعانيها على غير هدى ، ولا بد من جهود جبارة ومن عمل دائب ، مع إخلاص وصدق حتى أن تقعد على أسس قويمة خالصة من تلك الشوائب الكثيرة التى تعقد مسائلها ، وتعكر مناهلها .

والكتاب الذى نحن بصدد الحديث عنه عالج شأناً من شئون البلاغة المهمة ، عالج البلاغة فى إبان نشأتها ، وتحدث عنها وهى فى لفائف المهد ، تباركها أيد قليلة ، وتربت عليها برفق وحنان ، وتغذيها بما تستطيع أن تقدمه لها فى تلك العهود البعيدة . والكلام فى تاريخ نشأة البلاغة ليس حديث عهد بالدراسة ، ولكن أقلاماً تناولته ، وأظن أن أول من تناول هذا التاريخ صاحب المالى الأستاذ الشيخ على عبد الرازق فى كتاب أسماه (الأمالى) ومن الذين كتبوا فيه الأستاذ الشيخ أمين الخولى أستاذ البلاغة العربية فى الجامعة المصرية فى كتابه (فن القول) . وقد قرأت رسالة فى هذا الموضوع للأستاذ الشيخ أبى الوفا المراغى مدير المكتبة الأزهرية . غير أن الدكتور نوفل زاد على هؤلاء أنه ركز موضوعه فى البلاغة عند الجاحظ ، والكتاب مقسم إلى قسمين : القسم الأول تحدث فيه عن البلاغة قبل عصر الجاحظ ، وقد سجل فيه جهود العلماء والأدباء والمتكلمين والمعلمين ومجالس النقد فى نشأة البلاغة ، والقسم الثانى تحدث فيه عن جهود الجاحظ فى البلاغة ، وهذا القسم يعتبر جديداً ، ويا حبذا لو اقتصر المؤلف على هذا القسم ، فإنه موضوع بكر ، وقد بسط القول ووفاه ، ولو سمى كتابه (البلاغة عند الجاحظ) لأصاب المحز ، وطبق المفصل — كما يقولون — على أن القسم الأول من كتابه جاء تكراراً لما كتبه العلماء ، وفيه بسط يعتبر من فضول القول ، فقد أخذ الأستاذ على نفسه أن يترجم لكل من له حكمة فى البلاغة أو إشارة إليها من قريب أو بعيد ، ترجم لأبى بكر وعمر ومعاوية ، وترجم للعتابى ومهل بن هرون وشبيب بن شبة وعبد الحميد وابن المقفع ، وجعل كلامهم فى فصل مستقل ، وكان يمكن أن يكتب فصلا يذكر فيه آراء هؤلاء فى البلاغة ، ومدى تأثير هذه الآراء فى نشأة علومها ، وهل يترجم لواصل بن عطاء لأنه ألف كتابين يحتمل أن يكونا فى البلاغة ، أو لأن الجاحظ نسب إليه القول بأن الخطابة فى حاجة إلى البيان التام واللسان المتمكن والقوة المتصرفة ؟ فإذا تجاوزنا الرجال إلى الموضوعات وجدنا فصولا لا حاجة بالكتاب إليها كالفصل الذى عنوانه (العصر الجاهلى) ولو نقل منه كلمة أكثم بن صيفى ، واصطناع الكهان فسجع إلى الفصل السابق لاستغنى عن هذا الفصل ، وكذلك الفصل الذى يليه لا حاجة إليه ، وما دخل حديث القرآن أو الرسول عن البيان فى نشأة البلاغة وليس فيه مما يمس البلاغة إلا الحديث عن مذهب الرسول فى القول ، وهو كلمات ، ولو أنه صح لنا أن نرسم للمؤلف المنهج لقلنا : إن القسم الأول الذى ينتهى بصفحة ٩٢ كان يكفى فيه عشر صفحات ، فصل يجمل فيه القول عن أثر النقد فى البلاغة ، وأظن المؤلف لن يزيد شيئاً

عما كتبه الدكتور طه ابراهيم فى كتابه (تاريخ النقد عند العرب) — كما فعل — مع شىء كثير مما لا حاجة إليه ، وفصل يتحدث فيه عن المدارس التى درجت البلاغة فى ظلها ، ويكتفى فى هذا الفصل بجهود المتكلمين واللغويين والنحاة والأدباء . أما الفصل الثالث فيتتبع فيه آراء السابقين للجاحظ فى البلاغة ، ويترجم لاثنين منهم أو ثلاثة كأبى عبيدة ، ثم يتحدث عن كتابه ، وكل هذا لا يستغرق عشرين صفحة ، وقد استغرق فيه المؤلف تسعين صفحة !

على أن المؤلف فاته أن ينوه بأثر عالمين جليلين فى البلاغة ، وهما من أوائل العلماء قولا فيها ، أحدهما الخليل بن أحمد وقد تحدث عن الجناس والمطابقة والاستعمال المجازى ، والآخر سيبويه وقد تحدث فى (الكتاب) عن مجاز الحذف ، وعن التأخير والتقديم ، إلى مباحث أخرى تمس البلاغة .

أما القسم الثانى ، فهو لب الكتاب ، وقد جعله المؤلف بيت القصيد فى كتابه ، فإنه قال فى المقدمة : « ولما كان الجاحظ هو مؤسس علم البلاغة العربية وجامع مسائلها لم يكن مناص من اتخاذه الأساس الأول لهذه الدراسة » . وقد وفق كل التوفيق فى دراسة البلاغة الجاحظية وبلغ الغاية ، ولا نملك إلا الثناء المستطاب على هذا الجزء من الكتاب ، ولو أردنا أن نصور عمله لما وجدنا أوفى من تصويره هو لجهوده قال : « ولما كان — يريد الجاحظ — أكثر معاصريه استطراداً ، وأبعدهم عن مراعاة النظام فى التأليف ، فقد كان من العسير على من يبحث موضوعاً عنده أن يركن إلى كتاب معين ، وكان لا بد لدارس بلاغته من قراءة جميع كتبه ، وجمع المتفرق فيها ، والمقابلة بينه وتفسيره ، إذ كثيراً ما يبدو متناقضاً ، وهذا ما صنعت ، قرأت ما بأيدينا من كتبه ، وجمعت النصوص التى ورد فيها ذكر البلاغة أو أى اصطلاح من اصطلاحات علومها ، أو لفظ من ألفاظها ، أو معنى من معانيها ، وحاولت أن أصور هذه الاصطلاحات كما تدل عليها تلك النصوص المبعثرة » . ولم يفته أن يتحدث عن بعض معاصرى الجاحظ وعن بعض الذين جاءوا بعده ، وإن كان حديثه إشارات عابرة .

وقصارى القول فى جملة هذا الكتاب أن الجزء الأول منه سابغ فضفاض ، وكان من الواجب أن يركز ويقتصر فيه على الأغراض الرئيسية فى الموضوع . أما الجزء الثانى ، فقد بلغ فيه الغاية ، أجاد وأفاد ، لكن بقيت لنا تفصيلات نحب أن نراجع المؤلف فيها ونطارحها للبحث والدراسة ، ونستفض الطرف عن الأغلاط الجزئية ، وإنما نتناول مسائل ذات أهمية :

١ — تحدث المؤلف عن قصة نقد النابغة لحسان بن ثابت فى بيته المشهور :

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

وما كان من قول النابغة له : أقللت جفانك وأسيافك ، وقلت يلمعن بالضحى ، ولو قلت يبرقن بالدجى لكان أبلغ فى المدح ؛ وقلت يقطرن من نجدة دما ، ولو قلت يجرين لكان أكثر لانصباب الدم ؛ ثم يقول المؤلف : « وقد يقال إن هذه الروايات ضعيفة — على ما قرراين رشيق من شهرة حديث النابغة ، لكنها تلائم طبيعة الحياة الفنية ، فيمكن الاطمئنان إلى وقوعها » .

ونقول إن الحديث مشهور ، ومشهور كذلك أنه موضوع ، ولسنا نلف وندور ، ولكنا نضع هنا قول الدكتور طه ابراهيم فى هذه القصة ، فلنر فيه بلاغاً ؛ قال بعد ذكر هذه القصة واختلاف وجوه النقد فيها : « وكل ذلك تأباه طبيعة الأشياء ، وكل ذلك يرفض رفضاً علمياً من عدة وجوه :

١ — فلم يكن الجاهل يعرف جمع التصحيح ، وجمع التكسير ، وجموع الكثرة والقلة ، ولم يكن له ذهن علمى يفرق بين هذه الأشياء ، كما فرق بينها ذهن الخليل وسيبويه ، ومثل هذا النقد لا يصدر إلا عن رجل عرف مصطلحات العلوم ، وعرف الفروق البعيدة بين دلالة الألفاظ ؛ وألم بشىء من المنطق .

(البقية فى العدد القادم)

على العمارى

ظهر حديثا

وحى الرسالة

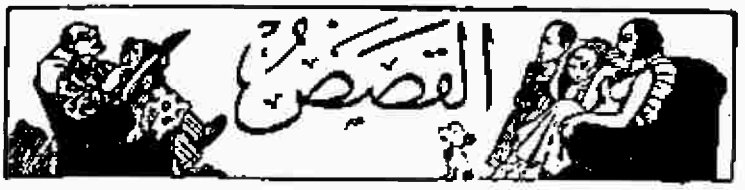

الأحـــلام

مسرحية للكاتب الانجليزى ارك براوول [1]

ترجمة الأستاذ على محمد سرطاوى

أشخاص المسرحية :

إيف (حواء) وهى فتاة جميلة فى الثامنة عشرة من العمر
الجد : وعمره فوق الثانين
روح
طيف
أمير
امرأة

مناظر المسرحية :

(منزل الجد : غرفة مريحة كسيت جدرانها بألواح من خشب البلوط قد عبث بها الدهر . فى طرفها موقد كبير يتأجج فى ناره حطب جزل . ضوء الغرفة شاحب مضطرب ، يتألف معظمه من لهيب النار . هى غرفة تتراقص فيها الأشباح ويتراءى فيها هدوء عميق شامل . جلس الجد أمام الموقد ، وقد أحنت ظهره السنون ، وقد راح ينفث الدخان من غليون يمالئه فى القدم . ويبدو فى مطلع المسرحية هادئاً لا يتحرك إلا قليلا .

وجلست إيف أمام الموقد ، منحرفة عن النار قليلا ، وقد ترامت على وجهها ظلال اللهب ، وتدل نظرات وجهها على القلق والحيرة . وكلما امتد شوط المسرحية يبدو معنى اسمها (حواء) واضحاً جلياً . أما لباسها فيترك لذوق المخرج وفنه وكل مايتصل بحوادث المسرحية نفسها فإنا أخذ نصب عينيه أن يقلل من أهمية الزمن للشاهدين فقد يوفق كثيراً

وحينما ترتفع الستارة ، تقف إيف ناظرة إلى الباب . ولا داعى مطلقاً لتطلع الصمت الذى تستغرق فيه . وعند ما يبتدئ الحوار يجب أن يكون هادئاً وبطيئاً)

الجد : فيمَ تفكرين يا بنيتى ، وماذا يدور فى خلدك ؟

إيف : (فى بطء) أفكر قليلا فى أمور خطيرة ، وكثيراً فى أمور تافهة !

---

(١) المؤلف : كاتب انجليزى معاصر كتب هذه المسرحية ونشرها عام ١٩٣٥ وهو فى نيوزيلندا

الجد : أصحيح ما تقولين ؟ إذا لم تخنى الذاكرة ، فقد كانت أمك كذلك ، وكانت أمها مثلها .

إيف : نعم ! إننا من طينة واحدة . ما أغرب ذلك .

ألا يدعو أمر من هذا النوع إلى العجب !

الجد : لا يدعو إلى الغرابة إلا السر المجهول ، وحتى ذلك لا يبدو غريباً إذا اتصل بعلم الإنسان !

إيف : (متهدة) نعم يا جدى !

الجد : لماذا تتنهدين يا وردتى الدابقة !

إيف : لماذا تتنهد كل امرأة ؟

الجد : حقاً ... لماذا ... ؟ لقد حيرنى هذا الأمر طويلا !

إيف : آه .. ترى لو قيل لى اختارى شيئاً واحداً بمفرده من الدنيا بأسرها ، فهل كنت أستطيع ذلك ؟

الجد : لا تتعلق بأمل واحد ، مخافة أن تمر بك آمال أخرى فلا تلتفتين إليها فى سير الحياة !

إيف : لست أعرف بالضبط أملا واحداً أهفو إليه .

الجد : أكان هذا سبب تنهدك ؟

إيف : نعم ... إنه لكما تقول . يربك حدثنى عن ماضيك البعيد يا جدى ؟

الجد : إنه عمر حافل ، فكاد صوره تفلت من ذاكرتى . (يتنهد) والذى أعرفه أنه كان طويلا جداً .

إيف : إذن فى مقدرك أن تخبرنى عن أثمن شىء فى الدنيا ؟

الجد : إن أثمن شىء فى الحياة يا بنيتى ، هو الشىء الذى لا تصل إليه يد الإنسان ، والإخفاق هو أساس التقدير . لا تنسى خيالك المرهف بأفكار معقدة من هذا النوع .

إيف : لست أنا التى تضطرب فى مهب هذه الأفكار ، ولكنها هى التى تدفعنى إلى الاضطراب دفعاً عنيفاً فى تيارها .

الجد : إن كل إنسان فى الدنيا يتمنى أن يحصل على الصحة والثروة والسعادة .

إيف : (متفكرة) الصحة ... والثروة ... والسعادة .

الجد : لا أعرف إنساناً اجتمعت عنده هذه الأمانى الثلاث ، وقلما أدرك أحد أمنيتين منها ؛ وإذا كان فى استطاعتك الحصول على واحدة منها فإن حظك لسعيد .

إيف : (فى رقة) نعم — يا جدى . (تشير فجأة إلى النار) آه ! انظر !

الجد : ما ذا ؟

إيف : لقد تلاشى . آه .. آه .. لقد خيّل إلىّ أننى أرى شبحاً صغيراً يرقص فى اللهيب .

الجد : إنك مرهفة الإحساس ، وكثيراً ما يرى صاحب هذا الإحساس أحلاماً غريبة .

إيف : وكثيراً ما أراه هناك حينما أفكر كثيراً (بسذاجة) لماذا أحلم دائماً بالآمال .

الجد . (مدمدماً) إن الأحلام لا تضر أحداً .

إيف : أحب أن أتمنى الثروة لأننا فقراء —

الجد : لكن لا تنسى أن الثروة كثيرة ما تسير فى ركابها التعاسة !

إيف : إذن سأتمنى السعادة .

الجد : هل فى استطاعتك أن تكونى سعيدة بغير صحة ؟

إيف : آه . لقد فاتنى أن أتمنى الصحة التى هى أثمن شىء فى الحياة (فى تصميم) نعم — نعم سأتمنى الصحة . ولكن إذا لم أتمن الثروة فسنظل فقراء ، ولم أعرف أن الفقر حل السعادة لنا فى الماضى ، فأريد أن أتمنى الثروة أيضاً . وما دمت ترى أن الثروة لا تجلب السعادة ، فأود أن أتمنى السعادة أيضاً . (بحرارة) آه .. يا أبت — لقد تمنيت الثلاثة مجتمعة بدلا من واحدة !

[يداعب الضاحى عينى الجد ، فيأخذ رأسه فى حركة بطيئة يميل إلى الأمام ، ويستقر على صدره — وترتخى يده الممسكة بالمنديل فيسقط على صدره أيضاً . تحدد النار فجأة .. يمر بالغرفة تيار مفاجئ يتراقص فى جوها الأشباح — تحلق أيضاً فى اللهب مبهورة — وعلى غير توقع تسمع من وراءها — من الظلام صوتاً يقول :]

الروح : ولكن ليس فى مقدورك الحصول على الثلاث معاً.

إيف : لماذا ؟ من أنت ؟

الروح : أنا روح اللهيب الذى لا يفنى — أنا الذى يمنح الأمانى النادرة للذين يستطيعون الاختيار .

(ترى إيف الروح الآن فى الظلام فتى يعتصم به غير جل — وقد بها كتلة من السواد لا تستطيع تبيان شكله . فى استطاعة المخرج أن يطلق لفته الفنان فى الترتيب)

إيف : (فى شىء من السرور) يا للسماء ! لقد رأيتك ترقص فى اللهيب .

الروح : آه .. نعم . إننى أرى فى كل نار — فى نار الشباب — وفى نار الحب — وفى نار الطموح .. !

إيف : ولماذا أتيت إلى !

الروح : لأحضر لك هدية !

إيف : (تمد يداً بيد) ما أجمل ذلك . ما هى ؟

الروح : أثمن شىء فى الدنيا !

إيف : (فى لهفة) ولكن ما هو ذلك الشىء ؟

الروح : إن اختياره يتوقف عليك .

إيف : (باكية) ولكننى لا أعرف .

الروح : يجب عليك أن تختارى .

إيف : (فى شك) كيف فى استطاعتك إعطائى ما أختار !

الروح : أستطيع أن أعطيك شيئا واحداً — أىّ شىء — على أن يكون من اختيار نفسك ومن غير إيحاء الآخرين .

إيف : ولكن جدى الذى تراه يغط فى نومه أمام النار يقول إن أثمن ثلاثة أشياء فى الدنيا هى الصحة والثروة والسعادة كيف أستطيع اختيار واحد منها ؟

الروح : هنالك أشياء أخرى (عذراً) ولكن تذكرى أنك لا تملكين إلا شيئاً واحداً فقط .

إيف : يبدو لى الأمر أكثر صعوبة مما توقعت . على أن لا أكون متهورة فى الاختيار .

الروح : (بعد صمت) هل اخترت ؟

إيف : واأسفاه ! لم أستطع . أليس فى إمكانك مساعدتى ؟

(يتلاشى خيال الروح مبتعداً فى الظلام)

إيف : أرجوك البقاء ! لما أختر ! أريد أن أكون أكثر روية وحذراً !

الروح : أوه ! أود مساعدتك ! سأريك الصحة والثروة والسعادة . ولكن اذكرى دائماً أن هنالك أشياء أخرى غيرها فى الحياة .

إيف : كيف ؟ أيمكننى أن أرى ذلك ؟

الروح : (فى غضب) سأريك ذلك . لا تسأليني كيف!

إيف : إننى لشديدة الأسف ! (بعد صمت) أرجو أن لا أكون قد أسأت إليك .

(لا تسمع جواباً . تفتش الغرفة . لقد اختفى)

إيف : (مضطربة) أرجو أن لا أكون قد أسأت إليه .

(قرع عنيف على الباب)

إيف : آه .. من الطارق ؟

(تقترب من جدها لتوقظه ، ولكنها تتوقف عن ذلك ... تتراجع إلى الباب ماشية على رؤوس أصابع رجليها . تفتح الباب . يدخل شاب جميل يتقدم)

الطبيب : عمى مساء . أرجو أن تتفضلى بالعفو إليكم فى مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل . لكنها زيارة لم أجد بداً منها .

إيف : هل طلب ذلك إليك أحد ؟

الطبيب : لم يطلب إلى ذلك ! الفرق طفيف ... أكرر اعتذارى مرة ثانية ؟

إيف : آه .. لم نرسل فى طلبك أبداً ! أتريد أن تقابل جدى ؟

الطبيب : رغبة من هذا النوع لم أفكر فيها !

إيف : إذن لماذا أتيت ؟

الطبيب : أتيت لأراك !

إيف : أرجو أن توضح ذلك !

الطبيب : إننى طبيب كمعظم الأطباء ، غير أننى أختلف عنهم قليلا .

إيف : فى أى شىء تختلف عنهم !

الطبيب : إننى لا أعالج مرضى .

إيف : لا تعالج مرضى ! ألا يبدو كلامك غريباً !

الطبيب : غريباً ! لماذا يبدو لك غريباً !

إيف : (بصراحة) حسناً ! إذا كان ما تقوله صحيحاً فإنك طبيب غير ماهر لا يستعمل معرفته وفنه .

الطبيب : لكننى من طراز نادر من الأطباء .

إيف : إذن لماذا لا تعالج المرضى !

الطبيب : لا أعالجهم لأننى لا أستطيع شفاء أمراضهم !

إيف : (فى لهجة قاسية) لست طبيباً أبداً !

الطبيب : ما الذى يدعوك إلى هذا الظن ؟

إيف : لأنك لا تستطيع شفاء المرضى .

الطبيب : (فى لطف) لا أستطيع شفاء المرضى لأننى لا أراهم ولعلك تلاحظين الآن الفرق جلياً .

إيف : بالتأكيد . هنالك فرق عظيم .

الطبيب : وإن حزناً غريباً ليمتادنى من وقت إلى آخر .

إيف : قد يكون ذلك صحيحاً .

الطبيب : لا تبصر عيناى المرضى على كثرة عددهم . لا ترى عيناى غير الصحة فى أجل وأروع مظاهرها .

إيف : إن ذلك يبدو غريباً محيراً .

الطبيب : لقد مر ألف عام على ، لم أجد فيها مريضاً واحداً أجرب فنى فى معالجته .

إيف : (غير مصدقة) ألف عام ؟

الطبيب : (متلطفاً) هل بدا لك ذلك مخيفاً ؟

إيف : أه . ربما ... لا ... لا

الطبيب أتظنين أن ملامح وجهى تدل على عمرى

إيف : أبد . أنك تبدو قوياً ، جميلا ، فاتناً

الطبيب : شكراً لك . إن هذه النقطة مهمة جداً

[يتململ الجد ويسمع لاستيقاظه صوت]

الجد : (يتململ فى جلسته) لقد غلبنى الكرى على أمرى

إيف : نعم يا أبت

الجد : من هو هذا الشاب يا إيف ؟

الطبيب : عم مساء يا سيدى الشيخ الوقور

إيف : إنه طبيب يا أبت . هكذا اخبرنى

الجد : (مرتجفاً) طبيب ! هل نحن فى حاجة إلى طبيب ! أكرر قولى هل نحن فى حاجة إلى طبيب يا إيف ؟ (إلى الطبيب) لماذا أتيت ؟

الطبيب : أتيت لأشاهد جمال حفيدتك الساحر الذى تحدثت به الركبان فى كل مكان ذهبت إليه فى البر والبحر .

الجد : وماذا تريد ؟

الطبيب : أريد أن أطلب يدها للزواج

الجد : أتعنى ما تقول ؟ إن هذا أول طلب أسمعه . هل فى استطاعتك إسعادها ؟

الطبيب : كيف تريد أن تكون سعادتها

الجد : بمتاع الدنيا

الطبيب : لا أحب متاع الدنيا وما فيها من وهم وغرور

الجد : (بلهجة جافة) ولكن حفيدتى تحب ذلك ما هى ثروتك؟

الطبيب : أتريد ثروة الجسد ، أو ثروة الروح ، أو ثروة المادة البراقة الخادعة ؟

الجد : لا تدر حول الحقائق . أريد المادة . وأعنى الثروة

الطبيب : إننى لا أملك يا سيدى شيئاً من ذلك أبداً . إن مهنتى قد علمتنى أن لا أقيم وزناً لأمور تافهة من هذا النوع . إن الجمال فى حاجة إلى الصحة ، وفى مقدورى أن أمنحها ذلك ، كما فى استطاعتى منحها أموراً أخرى .

إيف : ما هى الأمور الأخرى ؟

الطبيب : لا أعطى ما عندى إلا لأولئك الذين يغمرونني بالحب ورغماً عن طلبى بدها للزواج فأريد منها الحب قبل أن أمنحها أى شىء . وسوف ترى كيف يصنع الحب المعجزات ويذيل السعادة

إيف : انتهى كل شىء بيننا . لا أحب هذه الصفقة . إننى راغبة عنها . إن التوفيق ينقصها .

الطبيب : إننى أعطى الصحة ولكننى أقتش عن الحب .

إيف : (غاضبة) اذهب إلى غير رجعة أيها الذى يطلب الحب ولايشعر به ، ولايسعى إلا الصحة ... الصحة ليس إلا ، لا أريد صحتك ... إن مرض الجسم ليس شيئاً بالقياس إلى مرض الروح إننى أرضى عن طيبة خاطر أن تهاجم الأمراض جسدى فى سبيل المحافظة على هناءة روحى . إذهب ... إذهب ... إذهب .

الطبيب : ما دام الأمر قد انتهى إلى هذه النتيجة ، فمن العبث الاستمرار فى الحديث . لن تتكرر هذه الفرصة التى أتيحت لك فرفضت عنها . أتمنى لك يا آنستى مساء سعيداً .

(يخرج الطبيب قبل أن يتلاشى صدى كلماته)

الجد : (يعود للكلام) . شاب غريب الطباع . ما رأيت على شاكلته أحداً قبل اليوم .

إيف : إنه لكما تقول . ويخيل إلى الآن انى كنت مسحورة . لقد كان جميلا جذاباً رائعاً . (يتسلط النوم على الجد فيغفو مرة ثانية) لا أستطيع أن أصدق أنه عاش ألف سنة ، ولعله لم يكن جاداً فى حديثه يا أبت . كم يكون جميلا أن تكون للإنسان صحة رائعة ثم لا يموت ، وأن يكون إلى جانب ذلك رائعاً فتاناً . ليتنى لست فى بعض حديثه معنى من معانى الحب . لقد ساورنى على جسدى فاحتقرته . من يدرى ! لعله يعود مرة أخرى .

(يظهر الروح مرة ثانية بين الظلال المتراقصة فى الغرفة)

الروح : إنه ان يعود إليك أبداً

إيف : أهو أنت مرة أخرى ! لقد روعتنى !

الروح : ألم تتوقعى حضورى ؟

إيف : لا

الروح : تقولين لا ... أن الانتظار يحمل فى ثناياه معنى الشك ، ويخيل إلى أن ليس لديك شك أبداً . لعلى مصيب فى رأيى !

إيف : لم أفهم معنى ما تقول

الروح : إننى أتكلم كما أعيش

إيف : بالكلام الذى لا يفهم

الروح : أليست الحياة لغزاً ؟ ألم تجديها كذلك ؟

إيف : إن جميع ما تحدثنى عنه غير واضح بالنسبة إلى أليس كذلك ؟

الروح : ليس فيه شىء غامض مطلقاً

إيف : أستميحك المعذرة !

الروح : هل احتفلت بالزائر الذى أرسلته إليك !

إيف : أأنت أرسلته ؟

الروح : نعم ألم تعرفى ذلك ؟

إيف : ربما ... لم أكن متأكدة !

الروح : وهل أجبته ؟

إيف : (مذعورة) ... لست ... حقيقة ...

الروح : (بصراحة) كما توقعت تماماً

إيف : (بهدوء) أبداً ... كيف عرفت ما كان يدور فى خواطرى !

الروح : هل كانت مهمته إذن غير موفقة

إيف : (فى حنان) بالتأكيد ... كما تقول

الروح : إن الأشياء فى حد ذاتها لا قيمة لها ، وإنما ترتفع تلك القيمة حينما تتلاقى الأضداد . إن التناقض أساس الانسجام فى الحياة . إن الانسجام هو الذى يولد السعادة

إيف : لقد أحسنت التعبير . لا فض فوك !

الروح : لست في حاجتك إلى معرفة المتناقضات ودراستها ، ليكون حكمك صحيحاً على طبائع الأشياء .

إيف : كيف ؟

الروح : (عتباً) لا تسألني أسئلة في هذا النوع

إيف : (بهدوء) آسفة جداً . عفواً

الروح : سأريك الثروة ، ولست أدري كيف يكون موقفك منها ؟

إيف : ولست أدري أيضاً

(تسمع أصوات أبواق خارج المنزل . يختفي الروح مرة ثانية . يبقى الجد مذعوراً من الأصوات)

الجد : ماذا تسمع أذناي ! يا للسماء !

(أصوات في الخارج تردد الأمير الأمير الأمير تسمع إيف الأصوات فتسرع إلى مرآتها تصلح هندامها . ينهض الجد متثاقلا إلى الباب ويفتحه)

الأمير : (من طرف المسرح) أهذا منزل إيف ؟

الجد : إن لي حفيدة بهذا الاسم !

الأمير : (يدخل) إذن أرجو أن تحضرها أيها الشيخ . أريد أن أقول لها كلمة .

(يبدو الأمير في ملابس حريرية مزركشة بالجواهر الكريمة النادرة قصير وضخم الجثة . يتلفت حواليه في قلق ظاهر)

إيف : (تشير إليه) إنني إيف التي تسأل عنها .

الأمير : (يمسح بشعور من الحب مقاصيره نحوها) آه . رحلة موفقة . إنها جميلة .

إيف : ماذا تريد أيها الأمير ؟

الأمير : (مرتبكا قليلا) أتيت لأحدثك عن الآن !

إيف : تحدثني عنك !

الأمير : نعم . فماذا تقولين ؟

الجد : لا ... إن هذا الأمر مستحيل . لقد مضى الموعد الذي تأوي فيه إلى فراشها .. قد مضى ... عليها أن ....

الأمير : (في غضب) أغرب عن وجهي أيها الأثر القديم . حاجب شعر لحيتك أمام النار .. إياك أن تنبس ببنت شفة !

(يتراجع الجد مذعوراً دون أن يقول شيئاً)

إيف : (في غضب) كيف تجرأت على قول هذه الكلمات القاسية لجدي .

الأمير : تقولين تجرأت أيتها الشابة . ومن غير الأمير يفعل ذلك ويأمر الناس ؟

إيف : (بجرأة) أنت تعتقد ذلك .. وربما ...

الأمير : إنني أعجب بجرأتك التي تماثل جمالك البديع .

إيف : (ببساطة) الجمال ؟ أترانى جميلة في عينك ؟

الأمير : جميلة ورائعة أكثر مما أصف ، وهذا الجمال هو الذي جذبني إليك .

إيف : هذا شيء يحيرني تماماً .

الأمير : لقد سمعت كثيراً عن جمالك وسحرك وجمال عينيك فأحببت أن يكون كل ذلك لي من دون الناس جميعاً .

إيف : لأية غاية تريد هذا الجمال ؟

الأمير : (متهيباً) إنك تحملين عقل طفل بريء ، وهذا من حسن حظي وعن طالعي . وهو مما يزيد في رغبتي فيك وحبي لك وتلهفي العزاء والراحة بالقرب منك .

إيف : هل الأمير في حاجة إلى مواساة من أحد ؟

الأمير : (في سرور زائد) إن لها لساناً ساحراً أيضاً ومنطقاً سلساً .

إيف : وماذا تريد مني ؟

الأمير : أريد ... نفسك وحسبي ذلك . (يخرج يداً قد أثقلت كفها الجواهر اللامعة) أنظري . إنني أدفع ثمن ما أريد منك غالياً . من هذا الجوهر الثمين . سيكون كل ذلك لك ... ولك وحدك !

إيف : الثروة ؟

الأمير : طبعاً !

إيف : (في هدوء) يخيل إلي أنني قد بدأت أدرك الحقائق .

الأمير : يسرني جداً أن أساعدك على ذلك .

إيف : كيف تساعدني ؟

الأمير : في فهم الأمور على وجهها الصحيح .

إيف : ليبدو لي أننا نتحدث عن أمرين متناقضين ، ونرى من نفسين مختلفين .

الأمير : إن الثروة فصيحة لا تحتاج إلى لسان .

إيف : (بمرارة) إن الحياة مع أمير لا تروق لي .

الأمير : (بلطف) معذرة يا آنسة ، لم يدر بخلدي أن أجعلك أميرة .

إيف : لكن ... لكن ظننت أنك قلت ....

الأمير : قلت إن ثروتى ستكون تحت تصرفك وهى كما ترين صفقة رابحة بالنسبة إليك وبالنسبة إلى ما ستقدمين لى من جمال وحب .

إيف : أوه ... الحب !

الأمير : لقد نسيت أن أذكر لك ذلك . أعطيك الثروة وتعطينى الحب.

إيف : أتعنى أنك تريد أن تتزوجنى ؟

الأمير : (ينتفض صارخا) كلا ، كلا . أحسب أننى قد أوضحت لك ذلك بصراحة لا غموض فيهـــا . إننى أقدم لك الثروة واللآلىء الفاخرة والمجوهرات .

إيف : وماذا تريد منى عندئذ ؟

الأمير : (بقهقهة) أريد منك أن تحيينى كما تفعل كل فتاة جميلة

إيف : لتتحدث الآن بصراحة مهما تكلفنا ذلك !

الأمير : إذن فقد اتضحت لك مقاصدى

إيف : تماماً بالضبط

الأمير : هل أنت راغبة فيها

إيف : كلا . بكل أسف .

الأمير : ولكن لماذا ؟

إيف : إن الزواج يتراءى خيالا جميلا ساحراً أمام عينى

الأمير : لماذا تنفر النساء كثيراً عن الزواج فى مناسبات من هذا النوع ؟

إيف : ألا توافقنى على ذلك ؟

الأمير : إن الزواج حيلة اخترعتها المرأة لترفع من شأن نفسها . دعينا من هذه الأمور السخيفة وامضى معى . لا أستطيع الزواج لأن زوجتى أميرة ولى محظيات غيرها

إيف : ما أقبح ذلك يا أيها الأمير

الأمير : ليس قبيحاً ما يبدو لك . إنما هى عادة اعتدتها . لقد وجدتها بعد التجربة مستحبة

إيف : إذن لماذا تحدثت إلى باسم الحب

الأمير : إننى أبحث عن الحب فى كل مكان . إنه الشىء الذى لا تستطيع ثروتى الحصول عليه . جربت أن أطلبه بثروتى فى محاولات متنوعة ، ولكننى عدت منها بخفى حنين . كثيراً ما يبدو لى هذا الأمر غريباً لأننى أدفع ثمن هذا الحب غالياً فلا أعثر عليه .

إيف : مرد ذلك الفشل إلى أنك لا تعطى من قلبك ثمن الحب ولكن مما تملك يداك

الأمير : أخشى أن يكون ذلك مستحيلا

إيف : (تنظر إليه) إنك لتجده حتما لو دفعت من قلبك ثمن الحب

الأمير : إذن ما الفائدة من الثروة إذا لم تكن وسيلة للحصول على شىء فى الحياة ؟

إيف : لست أعرف من الثروة ولا من فوائدها شيئاً

الأمير : تعالى ... لتعرفى كل شىء عنها

إيف : إننى آسفة لا يمكننى أن أفعل ذلك

الأمير : ولكن لماذا لا تريدين ؟ (فى لهجة منكسرة) لا بد من سبب دعاك إلى الرفض

إيف : لأنك سمين جداً وغير جميل

الأمير : (فى سخرية) كنت أظن أن بريق الجواهر سيذهب بنور عينيك فلا تبصرين عيوبى . وا أسفاه . إن المرء لا يستطيع أن يملك كل شىء .

إيف : ربما كان ذلك . ولكننى لم أجد صعوبة كثيرة فى اكتشاف ما فيك من العيوب

الأمير : إذن ترفضين طلبى !

إيف : رفضاً قاطعاً

الأمير : (فى لهجة حزينة) هذا ما كنت أخشاه . لقد رضيت بالغاية وكرهت الوسيلة . إن الثروة هى أحبولة الشيطان للمرأة ، ولم أجد غيرك امرأة لم تقع فيها .

إيف : إن ما تقوله صعب التصديق

الأمير : لقد ولت أحلام الحب ميتة بيننا . لقد أخفقت وانتهى كل شىء

إيف : أما أنا فلقد ربحت المعركة التى كنت أحسبنى مدحورة فيها

الأمير : نعم ، إن ذلك يدعو إلى التفكير

إيف : فكر ملياً فى سبب إخفاقك ، ولعل ذلك يعود

عليك بالخير الكثير

الأمير : (متذمراً) لا أجد شيئاً يبعث الراحة إلى قلبي غير الحب الذي أضناني التفتيش عليه لقد أخفقت فيما كان يداعب قلبي من أمان وأحلام . كم أتمنى أن أنام نوماً عميقاً في الليل ، وأترك الثروة التي لا تنيل الحب ، طالما عثاراً

إيف : أوه . أتجد النوم صعباً بالنسبة إليك

الأمير : إنه سوء الهضم أيتها الآنسة . إن الثروة لا تسير جنباً إلى جنب مع الصحة لقد دفعت ثمن الثروة غالياً من راحة جسدي . إنني ضعيف الإرادة .

إيف : إذا أصبحت إرادتك قوية فماذا تفعل ؟

الأمير : لعل الأمور تختلف آن ذاك . إرادة أي إنسان تقوى على الصمود أمام جمال فتاة ساحرة . إن الثروة تفتح أبواباً كثيرة ولا نعرف — إلا متأخرين — أن أبواباً أخرى لا تستطيع فتحها . لا أريد أن أعترف لك كثيراً ، ولكنني أندفع إلى ذلك تحت تأثير جمالك . أود لو أنني فقير بائس جميل الصورة فنجد السعادة بدلا من الحب .

إيف : أتحسب أن الفقر والحب لا يجتمعان ؟

الأمير : قد يكون ذلك صحيحاً أو غير صحيح . إنما مرد كل إلى طبيعة الإنسان .

إيف : (في عدوه) كل رأي مرده إلى طبيعة الإنسان ! والآن أرجو أن تذهب ، فإن بقاءك حتى الآن إلى جانبي لما يؤلم جدي إذا استيقظ .

الأمير : (بدون احتشام) ألا تعاودين النظر في أمري !

إيف : أبداً . أبداً ... جد آسفة . لن أرغب فيك مطلقاً .

الأمير : (متذمرا) إنني لا أحسن الهجوم . وهذا ذنبي (متجهماً) لكن الجواهر لا تزال معي . ما أقبح الحياة إذا لم يجد المرء فيها ما يغريه الإخفاق في حب امرأة . (صوت أبواق من الخارج) استمعي ! إن رجال حاشيتي قد قلقوا لتأخري . الوداع أيتها العذراء الطاهرة . أذكريني ... لا تجعلي ذكراي في نفسك مرتبطة بما تكرهين واذكري ... إنني قدمت إليك أحسن ما عندي . (يخرج) .

إيف : ما أثقل ظل هذا المخلوق القصير !

الروح : (يظهر) لقد بدا لي أنك لم تحتفلي به أبداً .

إيف : أبداً .. أبداً .

الروح : ألا يدعو ذلك إلى الأسف ؟ لقد كان لديه الشيء الكثير من الذي يتهالك الناس عليه في الحياة وكان راغباً في تقديمه إليك .

إيف : لقد تعلمت من ذلك أيضاً أن لدى ثروة نادرة أغلى من الدر والجوهر والذهب يطلبها الناس .

الروح : نعم . نعم . صدقت .

إيف : وعلى أن أكون حريصة على هذه الكنوز فلا أمنحها من لا يستحقها .

الروح : صحيح مرة أخرى . لكن الذي أريد معرفته : ما هو اعتراضك على صديق الأمير ؟

إيف : إنني لأحس في قرارة نفسي بالأسف على خيبته ، وإنه إحساس يملأ نفسي بالزهو أن أشعر بالأسف على فشل أمير لقد وجدته قد فقد الإدراك الصحيح لموازين الأشياء ومقياس الحقائق .

الروح : أما صديق الزائر الأول ، أفلم يفقد إحساسه بالزمن ! ألا يرك حيرتي : أيهما وجدت أكثر أهمية إدراك الزمن ، أم إدراك حقائق الأشياء ؟

إيف : إنك تسأل أسئلة محيرة أيها الروح !

الروح : إن الأسئلة المحيرة تتلب على أجوبتها الطرافة .

إيف : اسمح لي أن أقول لك إنني تعلمت كثيراً من صديقك وكثيراً جداً .

الروح : وماذا تعلمت أيتها الآنسة ؟

إيف : تعلمت أن الصحة لا تقيم وزناً للثروة ، وأن الثروة كثيراً ما تطلب الصحة .

الروح : يا للأسف ! هل اكتشفت ذلك ؟

إيف : ذلك ما تأثرت به على الأقل . وخيل إلي أنهما يفتشان عن السعادة . وقد يكون مبهجاً — إن لم يكن مغرياً — أن يعرف المرء ما هي السعادة . (تضم يديها) السعادة ! ترى أتكون السعادة أثمن ما في الدنيا ؟ لست أدري

الروح : أراك تتعجبين ؟ إن كثيراً من الناس على شاكلتك

إيف : أتستطيع أن تريني السعادة يا صديقي ؟

(يختفي الروح . تلتفت إيف حولها تسير إلى الوقد وهي تفكر تفكيراً عميقاً . يفتح الباب ، تدخل امرأة قصيرة الجسم يبدو على محياها الشحوب والإعياء)

إيف : (مذعورة) آه . لا شك أن هنالك خطأ . . ! ماذا تريدين أيتها السيدة ؟

المرأة : (في لهجة حزينة) أسفاً يا بنيتي ! ألا تعرفيني ؟

إيف : (تهز رأسها) لا

المرأة : (في حنان) إني أمك

إيف : أمي ؟ أمي ! لقد ماتت أمي !

المرأة : ألا تتذكرين تلك الأم ؟

إيف : لقد ماتت منذ زمن بعيد ، ومحا الزمن صورتها من خيالي .

المرأة : لقد ماتت جسدها ، أما روحها فلم تمت . إنها الشيء الذي لا يموت .

إيف : ولماذا جئت من العالم الآخر ؟

المرأة : لا تقولي هذه الكلمة فما بارحتك أبداً

إيف : وما هي غايتك من هذه الزيارة الآن ؟

المرأة : أتيت لأحدثك معي ، لقد بلغ جدك من الكبر عتياً ، ولسوف يسير جسده في الطريق التي تسير فيه الأجساد إلى نهايتها . سنذهب معاً وهناك تتمادين على حبي ، وستجدين السعادة معاً

إيف : ولماذا غبت عني طويلا !

المرأة : لم أعرف أن الفراق كان طويلا إلا الآن .

إيف : أني أرى حديثك غريباً . ماذا تريدين مني !

المرأة : أريد حبك ولا شيء آخر .

إيف : وماذا تعطيني إذا أنا منحتك هذا الحب ؟

المرأة : حنان الأم وحبها العميق . لا شيء ، غير ما لك في قلبي من حنين ، ومالي في قلبك من لهفة وشوق . لك مني الاطمئنان والسكينة والسعادة .

إيف : كيف أسعد الآخرين وأنا لا أجد الطريق إلى السعادة

المرأة : السعادة بين يديك إذا كان في مقدورك أن تحملي بين جوانحك حب الفتاة لأمها .

إيف : لقد سمعت الناس يتحدثون كثيراً عن الحب ؛ إنهم دائماً يطلبون ولا يعطون .

المرأة : أما بالنسبة إلى فإنك ستأخذين وتعطين . هذا هو السر . إن البساطة هي الطريق الصعب إلى السعادة .

إيف : إن البساطة مفتاح القناعة . لكن أين السعادة الحقيقية من ذلك . هل هنالك شيء يطلق عليه هذا الاسم ؟ هل السعادة حديث خرافة يا أم عمرو ؟ يخيل إلي أنها شيء معقد جبار يتألف من ألف فكرة ، ومن ألف عاطفة ، ومن ألف زخرة ، ومن ألف عذاب . إنها ليست شيئاً واحداً إنني لن أجد السعادة الحقة معك

المرأة : ولماذا لا تجدينها معي أيتها الابنة الفيلسوفة !

إيف : لأن ليس في استطاعة الإنسان أن يتذوق السعادة الخالصة إلا إذا شرب كؤوساً مترعة بالشقاء من يد الزمن . إن السعادة شيء بعيد جداً عن مجرد القناعة ، والسكون إلى حقائق الواقع المريرة . ليس في استطاعتنا الحكم على حقائق الأشياء دون الغوص إلى أعماقها .

المرأة : إن هذه الأفكار القوية لا تدور بخلد فتاة في عمرك

إيف : (ببساطة) أصحيح ما تقولين ؟

المرأة : بعد أن يتعبك السير في الطريق التي سترسمه لك الحياة ، وبعد أن تبدد اليقظة أحلامك الجميلة ؛ وبعد أن يتحطم الطموح فيك على صخرة الفشل — تعالي إلي — فستجدينني في انتظارك

إيف : أتحسبين أني الآن ذاك في حاجة إليك . ومع ذلك فإن السعادة هي الحلم الجميل الذي لا يستحيل إلى حقيقة ملموسة . ويبدو لي أنني سأحلم كثيراً ؛ وأتعلم كثيراً ؛ وأعطى شيئاً ليس بالقليل من عواطفي .

المرأة : سأنتظرك . سوف تمر بك ساعة تدركين فيها أن السعادة لا تتعلق بزمان ومكان . إنما هي سعادة الروح

إيف : ألا تحبين الصحة والثروة ؛ ما رأيك فيهما ؟

المرأة : أية قيمة للصحة حينما يموت الجسد ؟ وما نفع الثروة إذا لم يستطع الإنسان استبقاءها . وماذا يبقى بعد ذلك غير السعادة ؟

إيف : نعم إنك على حق . ولكن هل هنالك أمور أخرى في الحياة ؟

المرأة : (في لهفة) الأمر المهم بالنسبة إلى ذهابك معي

إيف : (تهز رأسها) كلا . لن أذهب معك ! أن العجز والهزيمة من الحياة أمر سهل جداً . أريد أن أحل ألغاز الحياة بنفسي . لن تهزمني الحياة أبداً . سأصمد لزوابعها

المرأة : سأكون في انتظارك اذكري ذلك جيداً .

إيف : سوف أتذكر ذلك

(تقف إيف مفكرة وعلقة في النار ، بينما تعود المرأة أدراجها من حيث أتت وتختفي)

إيف : هلم إليّ يا صديقي ! إليّ يا مانح الهبات ! ساعدني !

الروح : (يظهر) لبيك ! لقد حان الوقت . هل اخترت ؟

إيف : واأسفاه ! لم أستطع ، لأنني لا أريد الصحة ولا الثروة ولا السعادة . لا أريد هذه في حد ذاتها بعيدة عن المعاني الإنسانية

الروح : يخيل إلي أنك لم تتوقفي رؤيتها على الشكل الذي بدت لك فيه .

إيف : نعم

الروح : لا تنسي أن هنالك أشياء أخرى في استطاعتك اختيار منحة منها

إيف : نعم هنالك أشياء أخرى . أنك على صواب !

الروح : (في سأم) إنما عليك أن تختاري واحدة منها

إيف : لقد لاحظت أن الأشياء الثلاثة التي عرضتها علي ، كان كل واحد منها يزعم أن في مقدوره إعطائي كل ما أريده ، ومع أن كل واحد منها كان يمنح شيئاً يختلف عن الآخر ، إلا أنها جميعاً كانت تطالب مني ثمن ذلك

الروح : وما هو ذلك الثمن ؟

إيف : أنه الحب . أنها جميعاً كانت تفتش عن الحب فيخيل إلي أن الحب أثمن شيء في الوجود .

الروح : إنني لا أستطيع تقرير ذلك .

إيف : لقد ظهر لي ذلك واضحاً جلياً لا غموض فيه

الروح : إذن هل تختارين الحب كأغلى منحة !

إيف : كلا . لن أختار الحب . لأنه إذا كان من جانب واحد لم يكن حباً ، وإنما هو خداع الطبيعة لاستدامة النوع ومد جذوره إلى المستقبل في وجه مستمر من شهوة الجسد . ليس الحب إلا امتزاج روحين ، وتقارب قلبين وفناء جسدين في هدف لا يدرك . إنني لن أطلب الحب . ينبغي أن يأخذ الحب طريقه إلى القلوب بعيداً عن الأرادة والتوجيه . أن الحب الصحيح لا يطلب ، ولكنه كالجوهر النفيس تكتشفه القلوب في مسارب الحياة

الروح : إذن أي شيء تختارين

إيف : إذا كان لابد من الاختيار فأختار العقل . أنه ينجدني في الشدة ؛ فاختار اختياراً صائباً ، وأعيش حياة متزنة ، وأحب حباً صحيحاً . ثم سأختار العقل

الروح : (مقهقها) ها ... ها ... لا يختار العقل إلا إنسان مدرك عاقل . وأنت باختيارك لم تطالبي شيئاً جديداً . لقد طلبت ما هو لديك . أهذا كل ما تطلبين ؟ (يتهيأ بصوت مسموع) إنك يا آنستي العزيزة في غير ما حاجة إلى من يقدمه إليك ! ...

ها .. ها .. ها .. ها ....

(يتلاشى الروح)

إيف : (مفكرة) إنني لا أشك في سلامة عقلي

(ترجع إيف إلى وضعها الأول ، جالسة أمام الموقد ، محلقة في اللهيب ، تتلاشى الخيالات تدريجياً ويدوي في الدار ، وبعد فترة تحرك عينيها ، بينما يأخذ غطيط الجد يخفت ، ثم يفتح عينيه)

الجد : لقد غلبني الكرى على أمري

إيف : لقد أغمضت طويلاً يا أبت

الجد : ماذا كنت تصنعين أثناء نومي يا إيف ؟

إيف : كنت أفكر

الجد : تفكرين ! هل أمضيت كل ذلك الوقت في التفكير؟

إيف : نعم يا أبت

الجد : لا أحسب أنك فعلت ذلك ! ربما يخيل إليك أنك كنت تفكرين !

إيف : إنني واثقة من ذلك وتوقن بأنك كنت نائماً

الجد : إنك تفكرين كثيراً يا بنيتي ؛ بماذا كنت تفكرين !

إيف : أفكر قليلا في أمور هامة ، وكثيراً في أشياء لا أهمية لها ! أليس كذلك يا أبت !

الجد : إن أساليب النساء تعجز الفهم ، هلمي إلى فراشك

إيف : (تهمس) سمعاً وطاعة يا أبت وشكراً

(أصوات ضحك تنبعث من بعيد)

(يهبط الستار)

(النهاية)

علي محمد سرطاوي